فلسفة الأخلاق الحديثة والمعاصرة

تأليف

أ.د/ رمضان الصباغ

العام الجامعي ٢٠٢٣/٢٠٢٤

بيانات أساسيــة

الكليــة : الآداب

الفرقــة : الرابعــة

التخصص : فلسفــة

عدد الصفحـات : ١٥٨

مقدمـة :

يشكل الاهتمام " بالجمال " و " الأخلاق " محوراً رئيسياً من محاور التفكير الإنساني إذ يضرب بجذوره في أعماق تاريخ الفلسفة ، ويتمثل في محاولة الفكر الشرقي القديم تطويع الفن لكي يكون متسقاً مع الأخلاق والدين ، ولدى اليونانيين خلال الأنساق الفلسفية التى تركها أفلاطون ، وأرسطو .. وغيرهما . ثم استمر لدى فلاسفة العصور الوسطى ، والعصور الحديثة الذين نهلوا من الآراء اليونانية وأضافوا إليها أو حذفوا منها أو عارضوها بين الحين والآخر .

وتمثل مشكلة العلاقة بين الجمال والأخلاق ، سواء في مجال التفكير الجمالي خاصة أو مجال " القيمة " بصفة عامة ، أعمق المشكلات وأعقدها ويفسر هذا مانراه من آراء " متضاربة " وأقوال متباينة حول هذه العلاقة ، وما نشأ عنها من مدارس واتجاهات . وصلت الى حد التضاد والتنافر، ولعل هذا ناتج عن صعوبة دراسة القيم – في الأساس – صعوبة الربط التام ، أو الفصل الكامل ، بين قيمة وأخرى ، إذ أن القيم رغم اشتراكها في بعض الأمور ، إلا أنها ليست متطابقة تماماً .

ونظراً لأهمية هذا الموضوع ، فإننا سنحاول بالبحث والدراسة أن نستكشف أهم جوانبه ، ونستجلى بعض أموره المستغلقة ، وذلك من خلال إطار محدد ينصب على : " الأحكام التقويمية فى الجمال والأخلاق • طارحين التساؤلات حول الموضوعات الآتية :

(١) طبيعة أحكام القيمة والعلاقة بين الأحكام التقويمية والأحكام التقريرية بصفة عامة

(٢) الأحكام التقويمية في الجمال ، وفي الأخلاق .

(٣) العلاقة بين الجمال والأخلاق في مجال الفن .

وبناء على هذه التساؤلات جاء بناء على النحو البحث كالآتي :

بدأنا البحث بتمهيد درسنا خلاله الأحكام التقويمية وعلاقتها بالأحكام التقريرية محدديين معنى الحكم ، وطبيعة هذه العلاقة ، مقدمين في هذا المجال بعض الآراء المتباينة لبعض الفلاسفة والمفكرين .

وبعد ذلك جاء الفصل الأول كدراسة " للقيمة وأحكامها "

درسنا فيه المعنى الشائع للقيمة والمعنى اللغوى لها ، ثم أردفنا ذلك بدراسة فلسفية لمصطلحي " القيمة ، و التقويم " نظرنا فيها في استعمال القيمة أو التقويم كاسم مجرد بالمعنى الضيق والمعنى الواسع ، واستعمال القيمة والتقويم كاسم واقعي أو عياني ، وأخيرا استعمال القيمة والتفويم كفعلين . ثم انتقلنا بعد ذلك الى دراسة وحدة القيم ورأى أفلاطون ، وبعض الفلاسفة المعاصرين في ذلك .

وبعد ذلك أشرنا الى مجالات القيمة وأنواعها وتصنيفاتها ، لنتجه الى تحليل القيمة ، ودراسة الآراء المختلفة التي تميل الى هذا الاتجاه أو ذاك . فدرسنا الرأي القائل بأن القيمة موضوعية ، ثم الرأى المناقض له والذي يرى أن القيمة

ذاتية ، وأخيرا الرأي الذي يؤكد على ان القيمة بمثابة علاقة بين الذات والموضوع .

وأخيراً درسنا نظريات أحكام القيمة بين المعيارية والوصفية (السبرية) فقدمنا كلا الاتجاهين (المعياري وغير المعياري) مبينين الأسس التي يقوم عليها كل اتجاه مع نقدنا وتحليلنا ، ثم أعقبنا ذلك بتعقيب عام الفصل لخصنا فيه موقفنا بشكل عام .

وفي الفصل الثاني بدأنا دراستنا للقيمة الجمالية بمقدمة عن مناهج دراسة الجمال ثم اتجهنا الى دراسة لمقولات القيمة الجمالية والتطور الذي حدث في القرون الأخيرة والذي أدى الى توسيع مجالات الحكم الجمالى لينصب على الجليل والقبيح أيضا كمقولتين من مقولات القيمة الجمالية.

ثم درسنا بعد ذلك عناصر القيمة الجمالية ، وفصلنا القول عن الموضوع الجمالي وعن الوعى الجمالي ، والعلاقة الجمالية ، وانتهينا الى أن الجمالي علاقة بين موضوع (هو الموضوع الجمالي) وبين الوعي (وهو وعى الذات المدركة) وأردفنا ذلك بدراسة عن الموقف الجمالي والتفرقة بينه وبين المواقف المختلفة العملية والنفعية والمعرفية والأخلاقية وغيرها . ثم قيمة الفن والطبيعة من الناحية الجمالية . وأخيرا قمنا بدراسة الأحكام والنظريات الجمالية بين المعيارية والوصفية (التقريرية) فدرسنا ضمن النظريات المعيارية الاتجاه الذاتي ، ثم الاتجاه الموضوعي ، والاتجاه (الذاتي – الموضوعي) ، وقدمنا بعد ذلك الاتجاه التقريري (اللامعياري) مع تعقيب عام عن الحكم الجمالي .

أما في الفصل الثالث : فقد مهدنا لدراسة القيمة الأخلاقية والحكم الأخلاقي بمناقشة لمعنى الأخلاق لغويا واصطلاحيا ، وعلاقة علم الأخلاق بعلم العادات الأخلاقية . وهل الأخلاق علم أم فن .. ؟ ثم انتقلنا بعد ذلك الى دراسة الأخلاق بين النظر والممارسة العملية .

وفي إطار دراستنا للقيمة الأخلاقية ، راينا أنه من الضروري لنا فهم دراسة المفاهيم الأخلاقية كالخير والشر ، وذلك حتى يتس والضمير والمستوى الأخلاقيين لننتقل بعد ذلك الأحكام الأخلاقية فيما بعد . وكذلك دراسة النسبي والمطلق في الأخلاق ، دراسة الأحكام الأخلاقية ، فدرسنا النظريات المعيارية سواء الذاتية منها أو الموضوعية ، ثم النظريات الوصفية ، واخيرا الاتجاه العدمي الأخلاقي الذي لا يرى امكانية قيام أخلاق بالمرة .

وأخيرا ختمنا الفصل بتعقيب ضمنا فيه موقفنا بالنسبة لموضوع القيمة الاخلاقية .

وفي الفصل الرابع درسنا مدى الارتباط بين الجمال والأخلاق من خلال دراستنا للفن فبدأنا الفصل بتمهيد عام ثم قسمناه الى قسمين :

القسم الأول : وهو ينصب على التقويم الأخلاقي للفن . وقد درسنا فيه معنى الفن في اللغات المختلفة مع توضيح العلاقة بينه وبين المنفعة ، وبين الفنون التطبيقية والفنون الجميلة . ثم درسنا الآراء التي تربط بين الجمال والخير الأخلاقي وذكرنا في هذا الصدد أهم آراء بعض الفلاسفة منذ اليونان الى الآن مركزين على مايشكل علامة رئيسية في هذا المجال لننتقل بعد ذلك الى دراسة

دور الفن في المجتمع الفاضل ، والذي ناقشناه من ثلاث زوايا : الزاوية الأولى وتنطلق من الربط بين الف الأخلاقي من خلال المحاكاة ، سواء المحاكاة الساذجة أو محاكاة الجوهر ، أو محاكاة المثل الأعلى . أما الزاوية الثانية فتنطلق من الآراء التي تربط بين الشكل الفني وبين الأخلاق ، كما يبدو وذلك واضحا في الآراء التي تتعلق بالشعر والموسيقى ، والتصوير ..الخ . واخيرا تنطلق الزاوية الثالثة من الموقف الذي يرى أن الفن تعبير عن انفعال أخلاقي . وقد تمثل هذا الرأي لدى العديد من المفكرين على رأسهم " ليوتولستوى " .

وفي القسم الثاني درسنا اتجاه الفن للفن الذي أعلا الجمال ، وأدى الى قطيعة بين الجمال والأخلاق وذلك مر من قيمة لال أراء العديد من أقطاب هذه المدرسة في أوروبا مثل " أوسكار وايلد " و " بودلير وادجار آلان بو " وغيرهم .

وبعد ذلك بحثنا موضوع الانفصال بين الفن وبين كل من المنفعة والأخلاق وذلك من خلال آراء " بند توكروتشه " و " جان بول سارتر " في مرحلته المبكرة .

وأخيرا درسنا النزعة الشكلية ، والمنهج البنيوي في الفن والأدب ومحاولة إقامة علم جمال ، أو علم للفن الشعري وللأدب بعيدا عن كل موقف اجتماعي أو أخلاقي باتجاه القطيعة التامة مع النقد السياقي (التاريخي أو الاجتماعي أو الأخلاقي) مع تعقيبنا على هذه الآراء .

ثم انهينا الفصل بتعقيب اوضحنا فيه موقفنا من مشكلة العلاقة بين الجمال والاخلاق في إطار الفن .

وفي نهاية البحث قدمنا النتائج التي توصلنا اليها . وهي محاولة الاجابة على التساؤلات التي طرحناها في بداية هذه المقدمة .

منهج البحث :

تتضم لما كان موضوع البحث هو : الأحكام التقويمية فى الجمـ والأخلاق – دراسة تحليلية مقارنة .

لذا فان منهج البحث الذي وقع عليه اختيارنا هو المنهج التحليل المقارن ، إذ نقوم بتحليل القيمة الجمالية ، والقيمة الأخلاقية ، ثم نقارن بينهما في مجال الفنون .

تمهيـد

الأحكام التقويمية والأحكام التقريرية

(١) معنى الحكم

يشير المعنى اللغوى للحكم الى العلم والفقه والقضاء بالعدل ، والفصل ، والبت والقطع . نقول حكم بينهم ، أي قضى بينهم ، كما يقال : حكم له ، وحكم عليه . والحكم عند علماء النفس هو تقرير ذهني يثبت به العقل مضمون القول ، أو هو اتخاذ رأى صالح لتوجيه السلوك فى الأحوال التي لا يستطاع الوصول فيها الى معرفة يقينية . وهو عند المنطقيين إسناد أمر الى آخر ، إيجابا أو سلبا ، وقد يعبر عنه بإدراك وقوع النسبة أو عدم وقوعها . فاذا قلنا : " زيد عالم " اشتمل هذا القول على ثلاثة أجزاء الأول المحكوم عليه ويسمى الموضوع ، والثاني هو لمحكوم به ويسمى الحمل ، والثالث هوالنسبة بين الطرفين (١) .

وقد رأى البعض أن الحكم هو فكرة يعبر عنها في صورة جملة تقريرية ، حيث تقدم تقريرا عن موضوعات ، هي إما حقيقية أو زائفة من الناحية الموضوعية . مثل القول بأن " كل الكواكب تدور حول الشمس وإذا كان الرقم قابلا للقسمة على عشرة ، فإنه يقبل القسمة على خمسة " وغير ذلك ، وأن الفرض يعتبر حكما ، وقوانين العلم أحكام ، وصدقها صدق برهاني . والأفكار التي توصف بالصدق أو الكذب لا تعتبر أحكاما ، والاحكام يمكن تقسيمها الى بسيطة ومعقدة ... الخ (٢)

ولكن وجهة النظر هذه تقصد تسمية الحكم على نوع محدد من الأحكام وهو الحكم التقريري ، دون الأحكام التقويمية .

وهناك من رأى أن التصور Conception هو تقرير بسيط لفكرة أو أكثر ، بينما الحكم Judgment هو فصل أو توحيد لأفكار متباينة Separating Or Uniting Of Differnt Ideas وذلك على اساس ضرورة التميز ون العلم بين الحصول المحض على فكرة ما وبين الحكم أو الاعتقاد في الفكرة أي يجب أن نميز بين الحصول على فكرة " وجود الله أو موت القيصر في سريره ، والحكم أو الاعتقاد بأن الله موجود أو ان القيصر قد مات في سريره . أي أن نميز بين التصور الخالص وبين الحكم . وبالطبع يوجد شئ مشترك بين التصور والحكم ، فسواء أدركنا (أ) بشكل خالص ، أو حكمنا على (أ) فإن هذا يستلزم فكرة عن أ . وكذلك رأوا أن هناك تطابقا بين الحمل أو الإسناد وبين الحكم على أساس أننا في الحكم نحمل شيئا على شئ ، مثلما نحمل الوجود على الله أو الموت في السرير على القيصر " (٣) .

ولكن هذا الرأي لم يوافق عليه " ديفيد هيوم – David Hume – فق رفض التطابق بين الحمل والحكم عل الوجودية Existential Judgments تحتوى على فكرة واحدة بسيطة ، ولا اس أنه رأى أن الأحكام ببساطة تتضمن حملا ، أو توحيدا أو فصلا لأفكار متباينة (٤) .

ففكرة وجود الله ، أو الإنسان ، أو القنطور Centoure هي فكرة الله أو الإنسان أو القنطور ، وأن الرأي الشائع بأن الحكم فصل أو توحيد لأفكار متباينة يعتبر

خاطئا . فالحكم بأن الله موجود – على سـيل المثال – يشمل فحسب فكرة واحدة هي فكرة الله . " والتمييز الحقيقي ليس بين فكرة الله ، وفكرة وجود الله ، بل بين إدراك وجود الله ، و الاعتقاد في (أو الحكم على) وجوده ، اي الاختلاف في شكل تفكيرنا ولي يا نفكر فيه . (٥) " وان كان " هيوم " لم ينكر وجود أحكام أخرى الحمل وهي الأحكام غير الوجودية .

ولكن رأى " هيوم " هذا لم يوافق عليه الكثيرون ، ذلك أن هناك من قال بأن الأحكام الوجودية – أحكام تقريرية أو خبرية تحمل حقيقية على موصوف حقيقي ، وقابلوها بالأحكام التقويمية أو الإنشائية ، والتي تحمل تقديرا لقيمة الشئ .

ومثال ذلك إذا قلنا أن " فلانا في الجامعة " فإننا نحكم . وجوديا ، أي نقرر شيئا أو نخبر بشئ ، في حين أننا لوقلنا بأن " العلم " أفضل من الجهل " نكون قد قدمنا حكما تقويميا أو إنشائيا(٦).

(٢) العلاقة بين الأحكام التقويمية والأحكام التقريرية

لقد رأى " كارناب " Carnap أن حكم القيمة هو الذي استبعد كل انواع الاختبار الإميريقي Empirical Test ، وأضاف الى ذلك أن التعبيرات التي تقدم تقريرا اخلاقيا لا تعتبر أحكام قيمة بالمعنى الاصطلاح لديه (٧) .

فالموقف القيمي هو موقف يحدث فيه السلوك المفضل . هذا السلوك يوجه الى أي موضوع أو مجموعة من الموضوعات . أو الي خواص الموضوع أو مجموعة من الخواص ، ومن ثم الى الألام ، والمتع ، والأشخاص ، والأفعال ،

والى موضوعات فيزيقية أو أبنية معقدة Complex Streutures من أنواع متباينة ، فالموقف القيمي ، يكون متضمن على علاقة ، وفعل إيجابي أو سلبي ، سلوك مفضل بواسطة عامل ما بالنسبة لشئ ما ..وهكذا فإن المتعه تعتبر قيمة ايجابية إذا تمت الاستجابة لها بواسطة سلوك ايجابي مفضل (٨) .

وقد أكد هذا المعنى أيضا " جون ديوي " عندما رأى أن الغرض التفضيلي يضع قانونا لتحديد فعل من أجل القيام به . ثم أضاف الى ذلك العنصر التفضيلي ، إشارة الفعل الى المستقبل ، وليس الى ماحدث . إذ أنه يدعو الى ما يجب أن يحدث .

فالغرض التفصيلي يؤكد معيارا محددا . وهذا المعيار يستخدم في حكم القيمة للتعبير عن أنماط السلوك (٩) . فالموقف القيمى إذن هو موقف نكون فيه في وضع مفاضلة ، أو مقارنة وليس في وضع نقوم فيه بالتحليل أو الوصف . فحكم القيمة ينسب الى الأشياء قيمة معينة . وهذه القيمة قد تكون أصلية أو مشتقة من علاقتها بشئ آخر ذي قيمة . فلكى نقول بان شيئا ما " خير Good يعني أنه مرغوب . فإذا كان خيرا أساسيا ، فهذا يعني أن الرغبة فيه تعتبر غاية (١٠) .

فحكم القيمة هو الحكم الذي تدخل فيه الرغبة أوأي معيار أخر . ويكون المصطلح تقويميا A Term Is Evaluative اذا كان تطبيقه على شى مالا يشير فحسب الى أن القائل له موقف محدد تجاه هذا الشئ ، بل أيضا يشير الى أنه يود أن يشاركه الآخرون في ذلك الموقف . (١١) .

فحكم القيمة يعبر عن موقف معين للشخص الذي يقوم به ، ورغبته في أن يكون هذا الموقف عاما ، أو يوجد من يشاركه فيه . و بالتالي فإنه يتخذ شتى الأساليب التي تتسم بطابع تفضيلي لكي يؤكد هذا المغزى .

ولذا لكي أعبر عن موقف إنسان معين فإنني يجب أن أكون حاصلا على معلومات تفيدني حول مايسره ، وما لا يسره ، أو ما ينفعه وما يضره .. أو اي شئ من هذا القبيل مما يدخل تحت ما يفضله ذلك الإنسان . كما أنني لكي أدعو الآخرين الى مشاركتي لموقف معين فإنني بالضرورة استخدم بعض التعبيرات المؤثرة .

ويكون التعبير تقويميا أيضا إذا كان الشخص " يتكلم " بلا حياد " ، أو بغير الحقيقة أو يستخدم مؤثرات معينة كتأكيد لموقفة (١٢) . فتعبيرات القيمة – في رأى البعض تعبر عن انفعال ذاتي ، وعن السعى الى اثارة انفعال مماثل في الآخرين ، وإذا أزلنا الأساس الانفعالي للتعبير في رأيهم ، وكذلك رغبتنا في توصيل مواقفنا للآخرين فلسوف يفقد المصطلح التقويمي وظيفته كلية (١٣) .

والجدير بالذكر أن التصور الحديث لتعبيرات القيمة كتعبير عن الانفعال قد جاء مع وجهة النظر التي ترى أنه لا وجود لتعبير قيمي يمكن برهنته أو تبريره . لأننا نأمل في التأثير في مواقف الناس عن طريق العمل اللاعقلي . والتعامل مع عواطفهم ومشاعرهم (١٤) وقد رأى ذلك " اير Ayer " حين قال بأن التعبيرات الأخلاقية ورأيه في الأخلاق ينسحب على غيرها من القيم كما يقول هو نفسه – تعبيرات عن انفعالات Emotions ولا يمكن أن تكون صادقة أو

كاذبة (١٥) كما أن المفاهيم الأخلاقية المعيارية لا يمكن تحويلها الى مفاهيم غير معيارية . (١٦) ، وقد استخدم " اير " كلمة معياري Normative بطريقة تفترض أن التعبيرات المعيارية تتطابق مع التعبيرات التي تحتوى على ، ولات أو رموز تقويمية " (١٧) ويمكن تعريف المحمول المعيارى بانه الذي لا يصف فيه الإنسان خواصا ممكنة الملاحظة في الأشياء والأحداث ، بل يعبر عن التقويم تجاهها (١٨) .

وهذا المحمول المعياري هو ذلك الذي يعبر عا Evalhative وغير الوصفى Nondescriptive و اللا معرفي Monogate .

وحتي نحدد التعبير التقويمي أو المعياري ، فقول بان تعبيرا ما يكون " معياريا إذا كنا تقول شينا عن وصيته Is Function واستعماله Usage وليس عن محتواه Not About its Comten . والتعبيرات المعيارية تعبيرات إرشادية ، أو توجيهيه إنها تؤثر فيما يجب أن نفعله أو نقوم به أو نفكر فيه وتحدد ما يجب أن تختاره فالتعبير المعباري تعبير موجه للسلوك الإنساني . (١٩)

وتكون العبارات معبرة عن معيار خالص إذا توافر لها الشرطان الآتيان : (٢٠)

(١) أن تكون صيغة العبارة – أو الحكم – مترادفة مع الصيغة التي تؤكد أو تنكر أن شيئا ما يجب أن تفعله ، سواء في الحاضر أو في المستقبل وأن هذا الشيء حاصل على القيمة أو خير أو سي ، أو أفضل من شي آخر أو هو الشيء الأفضل على الإطلاق .

(٢) يجب أن تكون الصيغة غير مرادفة بالنسبة لمن يقدمها أو يتلقاها لصيغة الجملة الوصفية أو التقريرية . كما يوجد نوعان ، التعبيرات المعيارية المباشرة : (٢١)

الأول : وهو الذي يوجه نوعا معينا من الفعل ولكن لا يعين زمناً معيناً أو مكاناً محددا أو عاملا من العوامل .

الثاني : وهو الذي يوجه فعلا محددا في وقت معين ومكان معين .

وهكذا نجد أن التعبير التقويمي أو المعياري يتعلق بالسلوك الانساني ، كما أنه يقوم بالتوجيه ، والإرشاد ، ويؤكد على ما يجب أن يكون .

واذا كنا قد أشرنا الى الأحكام أو التعبيرات المعيارية والتقويمية ، فما هي طبيعة الأحكام والتعبيرات التقريرية أو الوصفية أو الواقعية ؟

في إجابتنا على هذا السؤال ، نبدأ بتعريفات للتعبيرات والأحكام الوصفية أو الواقعية ... الخ . حيث يكون التعبير تعبيرا حقيقيا خالصا ، في سياق معين إذا كان ليس هناك موقف No Attitude مثل ذلك الذي يكون ظرفا كافيا لأي شخص لكي يتكلم دون الصواب ، أو بدون صدق ، وهذا هو الوصف السلبي للتعبير الواقعي (٢٢) ولكن يمكننا أن نضيف أن التعبيرات الواقعية تعبيرات تحليلية ، وتعبيرات ممكنة التحقيق . وغير عاطفية . أو لا تتضمن تأثيراً انفعاليا (٢٣) .

واذا كانت التعبيرات الوصفية هي تعبيرات محتواها ممكن التحقيق فإن التعبيرين الوصفيين (او التقريريين) لهما نفس المحتوى إذا كان لديهما نفس النتائج الممكنة التحقيق فالجملة التقريرية أو الوصفية تقدم " تقريرا " Assertion يمكن اعتباره صادقا أو كاذبا . (٢٤)

ويقال أيضا للتعبير " بأنه تقريري أو وصفى إذا كان يقوم بتوصيل معلومات معينة " (٢٥) . وبناءً على ذلك فإن التعبيرات الأخلاقية ليست تعبيرات وصفية أو تقريرية – من وجهة النظر هذه – لأنها غير قابلة للتحقيق ، ولا تقدم معلومات كما أنها تدخل العنصر الانفعالي فيها .

وقد أكد كل من " اير " و " رود لف كارناب Rodlf Carmap و هانز ريشنياج Hans Reichenbach على أن مبدأ القابلية للتحقيق مبدأ مركزى بالنسبة للأحكام الواقعية أو الحقيقية ، وكل معرفة عن الوجود ، أو معرفة وهكذا نجد أن التعبير التقويمي أو المعيارى يتعلق بالسلوك الانساني ، كما أنه يقوم بالتوجيه ، والإرشاد ، ويؤكد على ما يجب أن يكون .

واذا كنا قد أشرنا الى الأحكام أو التعبيرات المعيارية والتقويمية ، فما هي طبيعة الأحكام والتعبيرات التقريرية أو الوصفية أو الواقعية ؟ في إجابتنا على هذا السؤال ، نبدأ بتعريفات للتعبيرات والأحكام الوصفية أو الواقعية ... الخ . حيث يكون التعبير تعبيرا حقيقيا خالصا ، في سياق معين إذا كان ليس هناك موقف No Attitude مثل ذلك الذي يكون ظرفا كافيا لأي شخص لكي يتكلم دون الصواب ، أو بدون صدق . وهذا هو الوصف السلبي للتعبير الواقعي (٢٢)

ولكن يمكننا أن نضيف أن التعبيرات الواقعية تعبيرات تحليلية ، وتعبيرات ممكنة التحقيق . وغير عاطفية . أو لا تتضمن تأثيراً انفعاليا (٢٣) .

واذا كانت التعبيرات الوصفية هي تعبيرات محتواها ممكن التحقيق . فإن التعبيرين الوصفيين (او التقريريين) لهما نفس المحتوى إذا لديهما نفس النتائج الممكنة التحقيق فالجملة التقريرية أو الوصفية تقدم " تقريرا " Assertion يمكن اعتباره صادقا أو كاذبا . (٢٤)

ويقال أيضا للتعبير " بأنه تقريري أو وصفى إذا كان يقوم بتوصيل معلومات معينة " (٢٥) .وبناء على ذلك التعبيرات الأخلاقية ليست تعبيرات وصفية أو تقريرية – من وجهة النظر هذه – لأنها غير قابلة للتحقيق ، ولا تقدم معلومات كما أنها تدخل العنصر الانفعالي فيها .

وقد أكد كل من " اير " و " رود لف كارناب Rodlf Carmap و هانز ريشنياج Hans Reichenbach على أن مبدأ القابلية للتحقيق مبدأ مركزى بالنسبة للأحكام الواقعية أو الحقيقية . وكل معرفة عن الوجود ، أو معرفة " إمبريقية تعبر في عبارات موضوعية عن العلوم الطبيعية أو الاجتماعية . وكل العبارات في اللغة العادية التي تتعلق بالأشياء الموجودة أو الأحداث تحقق ببطء بواسطة الإحساس . (٢٦)

واذا كانت المعرفة الإمبريقية تقوم علـ المعطيات المباشرة للاحساس – كما يرى " لويس Lewis " فاننا نستطيع أن نتحقق من أحكامنا حولها بالاختبار

الإمبريقي فالاحكام الإمبريقية تقرر معطيات تتصل بما يمكن التحقق منه (٢٧) .

وهكذا فان الأحكام التي تتعلق بالواقع تقرر شيئا يتصل بطبيعة الموضوع ويمكن التحقق منه بإحدى الطرق العلمية كما أنها تهتم بما هـ كائن ، ولا يعنيها ما يجب ، أن يكون . وذلك على النقيض ، ن الأحكام التقويمية أو المعيارية .

فنحن عندما نقول بأن ا الماء يتكون من " أوكسجين " " وأيدروجين فإننا نقدم حكما حقيقيا ، ولكننا عندما نقول بأن العلم أفضل من الجهل ، فإننا نقدم حكم قيمة " واحكام الواقع أو الحقيقية تعتبر أحكاما أكثر موضوعية لاعتمادها على الطبيعة الواقعية للموضوعات المحكوم عليها . بينما ترتبط الأحكام التقويمية بالذاتية لاعتمادها على الإنسان وميوله ورغباته " (٢٨) .

" وحكم القيمة هو حكم على شئ وليس حكما عن شئ . وهو ليس مجرد حالة لموضوع بل هو مقارنة الموضوع بمعيار ما " (٢٩) .

والناس عادة لا يتفقون حول ما يعتقدون أنه " خير " أو " صواب " من الناحية الأخلاقية . بينما يكون اتفاقهم حول ماهو صادق ، أو صحيح علميا يكاد يكون واضحا . " فالنازيون ، " السوفييت " يختلفون كثيرا فيما يعتقدون أنه نو قيمة " أو خير " " أخلاقي " . وذلك لارتباط أحكامهم بمفاهيم اجتماعية وسياسية متباينة ، بينما هم متفقون على ما هو علمى او يشكل الحقائق العلمية (٣٠)

واذا كانت الأحكام التقريرية أو الواقعية تعبر عما هو كائن ، والأحكام التقويمية أو المعيارية تعبر عما يجب أن يكون ، لذا فقد رأي البعض أنه توجد " فجوة منطقية " Logical Gap " بين مايكون what is وما يجب أن يكون what ought to كتعبير للفجوة بين ماهو واقعي وماهر تقويمي . وأن ما يتصل بما " يجب أن يكون " يعكس ماهو شخصي ، بينما ما يتصل بما هو كائن " يعكس شيئا لاشخصيا .أي مستقلا عن الذات • وبالتالي فإن الاحكام التقويمية (ما يتصل بما يجب أن يكون) لايمكن أن تشتق من الأحكام الوجودية أو الحقيقية (ما يتصل بما هو كائن) . (٣١) والأحكام التقويمية (ما يتصل بما يجب أن يكون) تعكس مواقف غير ممكنة التبرير أو البرهنة .لأن (الفجوة المنطقية) لا يمكن عبورها (٣٢) . واذا كانت الأحكام الإمبريقية Empirical Judgments تصف الشي فحسب ، والاحكام التقويمية (أو الوجوبية) – المشتقة مما يجب أن يكون – أحكاما إرشادية أو توجيهية ، تتخذ موقفا مع أو ضد شئ ما بواسطة الدفاع أو الفعل التوجيهي وانها لايمكن أن تشتق مما ليس به توجيه وارشاد ، فإنه قد يقال بأن التعبيرات الواقعية أو الإمبريقية قد تستخدم للإرشاد أو التأثير في الأفعال . مثال ذلك القول بأن " وراءك ثعبان " رغم أنه يقرر حقيقة أو واقعة إلا أنه قد يتضمن إرشاداً في نفس الوقت . (٣٣) وهكذا يمكن الربط بين التعبيرات أو الاحكام التقويمية ، و التعبيرات أو الأحكام التقريرية أو الإمبريقية .

ولكن ، هناك من يرى أن الفرق بين النوعين من الأحكام أنما يكسر في أن الأحكام التقريرية حاصلة على " قيمة الصدق Thuth Value " بيلم الأحكام التقويمية ليست حاصلة عليها . ومن ثم لا يمكن أن تنتج منطقا من التعبيرات التقريرية . هذا بالإضافة الى الموقف الذي يرى أن الأحكام التقويمية تعبر عن المشاعر أو الأوامر (٣٤) والأحكام التقويمية تتخذ المعايير أساسا لها . وهذه " المعايير لا يمكن تحقيقها إمبريقيا لأنها لا تعبر عن تقريرات (تقارير) Assertions عن شئ ما بل تعبر عن المشاعر ، وهذه المشاعر ليست شرطا ضروريا فحسب لكي يتم التقويم ، بل إن المشاعر تشكل جزءاً من التقويم ذاته . (٣٥)

واذا كان التحقيق ممكنا فحسب بالنسبة للاحكام التقريرية دون الأحكام التقويمية ، فان ذلك لتوافر الشرطين التاليين (٣٦) .

. (١) الملاحظة المباشرة Immediate Observation للتمييز بين الموضوعات التي لديها الخاصية التي نحن بصددها ، وتلك الموضوعات التي ليست لديها هذه الخاصية .

(٢) طريقة تمييز الموضوعات باستخدام الملاحظة المباشرة يجب أن تتطابق مع التمييز الذي يمكن أن يقام على أساس الخبرة الواسعة التي لاتحصل عليها بواسطة الملاحظة المباشرة . وهكذا يتأكد الفصل بين التقويم والتقرير على أساس عدم إمكانية خضوع القيمة للتحقيق واعتمادها – أي القيمة – على الربط بين الشعور والسلوك واهتمامها بما يجب أن يكون ونظرتها المستقبلية على

العكس تماما من التقرير الذي يؤكد على خواص الشئ كما أنه ممكن التحقيق ويعتمد على الملاحظة المباشرة .

فالموضوع الواقعي أو الحقيقي هو الذي يتحدد بصرف النظر عما إذا كان ذا قيمة أو يخلو منها تماما ، ونحن إذ نرى أن شيئا ما يعتبر حقيقيا ، أو واقعيا ، فهذا لا يكون بواسطة الكشف عما إذا كان شخص ما يقدره أو لا يقدره أو عما إذا كان جديرا بالتقدير أو غير جدير به ، كما الأمر في العلم الإمبريقي Empirical Science(٣٧)

فالحقيقي أو الواقعي يتحدد ، ليس بواسطة قيمته ، بل عن طريق (أو وجود خواصه) سواء كان ذا قيمة أم لا ، كما أنه لا وجوده يخضع من حيث وجوده للحكم التقويمي .

ومن ناحية أخرى فإن موضوع القيمة Object of Value يمكن أن يكون محض تخيل مثلما نستمتع بشخصية خيالية في رواية ، أو نتعلق بيوتوبيا مثالية . وفي الأخلاق تجد الناس يتعلقون بما يجب أن يكون. وفي الدين نجد الأنقياء Devotion Men يتوقون الى التوحد مع الآخرين في تحد للاغتراب والصراع مع الأشياء الكائنة . وفي الإبداع الفني والتقويم الجمالي يتجاوزالبشر آفاق الحقيقة The Realm of Fact لأن الخيال يتجاوز حدود الوجود . (٣٨)

وهكذا نجد أنه اذا كان حكم الوجود أو الواقع حكما تقريريا ، يحمل صفة حقيقية على موصوف حقيقي ، في حين أن حكم القيمة يمثل حكما إنشائيا ، يتضمن تقديرا للشئ وتقويما له ، فإن معنى هذا أن حكم القيمة ، يختلف عن

حكم الواقع ، وكذلك تختلف القيمة عن الحقيقية أو الوجود . وبناء على هذا فإن الأخلاق والجمال ليسا علمين . إن العلم – كما يرى – " البرات اشفيتسر " من حيث هو وصف للحقائق الموضوعية ، وتقرير ارتباطها بعضها ببعض ، واستخلاص النتائج منها لا يقوم إلا اذا كان ثم تسلسل في الوقائع المتشابهة يمكن أن يوضع موضع البحث ، أو واقعة واحدة في تسلسل الظواهر أى حين تكون ثم مادة يمكن تنظيمها تحت قانون مقرر ، ولكن ليس ثم علم لما يريده الإنسان وما يفعله ، فها هنا لا توجد غير حقائق ذاتية متنوعة كل التنوع إلى غير نهاية ، ترابطها المتبادل يقع داخل الذات الإنسانية الحافلة بالأسرار (٣٩) .

ولكن رغم ذلك فان هناك من يرون أنه بالامكان أيام علم للجمال وعلم للأخلاق ارتكازا على القول بأن الأحكام الأخلاقية والجمالية ... الخ) أحكام وصفية ، وانها قادرة على تبرير وبرهنة وجودها وأن لها امكانية التحقيق " . (٤٠)

وتبعا لذلك فان التعبيرات المتعلقة بالقيمة يمكن أن تشتق من التعبيرات المتعلقة بالحقيقة . (٤١)

وقد رأى " شيلر " F.C.S , Schiller " أنه إذا كان المنطق علما من علوم القيم ، استنادا الى أن القيم هي " الخير ، والحق ، والجمال * فإن هذا يستلزم مراجعة جذرية للتعارض بين الحقيقة والقيمة وأيضا التعارض بين الحقيقة والوجود . وكذلك النظر في أمر التعارض بين العلمي والنظري من الأمور ، أو العلوم ، واذا كانت الحقائق قيما فهذا يعني أنه لا انفصـــال بين مجال القيم (

العلم ي) ومجـال الحقيقة (النظري) ، كما ان الوجود متضمن للقيمة . ومن العبث البحث عن أي وجود أو حقيقة في تحرر تام وكلى من التقويم " (٤٢) .

بهذه اللهجة الجازمة يؤكد " شيلر " على الربط بين – ن القيمة والحقيقة ، وبالتالي بين أحكام القيمة وأحكام الواقع ، ويرى أيضا أنه لهس من الممكن – من الناحية السيكولوجية ان نلتقي بالحقيقة دون النفاذ عبير القيمة ، لأن التفكير في القيمة هو الذي يهدف الى غايات ، ويتخير وسلال ويرفض ، ويقبل ، ويعالج بطرق متباينة المعطيات الموجودة لديه في عملية إدراك الواقع (٤٣) .

ويضيف هذا الاتجاه – الذي يربط بين الأحكام التقريرية وأحكام القيمة – أنه من الناحية المنطقية تحتوى كل حقيقة على قيمة كاملة Loom Value لأن الحقيقة لا تدعى أنها حقيقة فحسب ، بل تدعي أيضا لها أفضل من حكم آخر كان من الممكن اتخاذه تحت الظروف المحددة لحظة الحكم ، فلا وجود للقيمة الخالصة إلا نادراً كما هو الحال بالنسبة للحقيقة الخالصة Pure Fact (44) .

وهكذا فإن كل حكم واقع يتضمن في داخله قيمة ، كما أن القيمة من وجهة النظر هذه – لكي يتم التعبير عنها تعبيراً دقيقا ، فإنها يجب أن تشكل واقعا أو حقيقة أو تكون مخالطة للواقع أو الحقيقة وقد رأى البعض أن أحكام الوجود القليلة النضج قد تعرب عن تقدير قيمة : فإذا قلت " هذا اللبن ساخن " فقد

يكون ذلك لأنني أريد الإشارة إلى أنه مناسب للشرب حاليا ، أو انه على العكس ساخن لدرجة لا أطيق معها تناوله (٤٥) .

اما " أميل دوركايم " Emile Durkheim (46) فقد أكد على أن القيم توجد خارج الذات أي في المجتمع أو في " الذات الجمعية " Collective Subject " وبالتالي فإن أحكامنا التقويمة – من وجهة نظره – تتصل بحقائق موضوعية ، وتعتبر أحكاما موضوعية ، وبذلك تتصل أحكام الواقع مع الأحكام القيمية كما أن صحة أحكام القيمة تتبع تفسيرها . " وهذا التفسير قد لا يكون تفسيرا عليا ولكنه قد يستخدم الأبعاد الاجتماعية ، وذلك في جعله المثل الأعلى يحظى بالقبول اذا وجد في مجتمع معين وفي زمان محدد ، واذ ذاك يمكن اللجوء الى التفسير العلى (٤٧) وعندما يدخل التفسير العلي في القيم ، فإن هذا يربطها بإمكانية التحقق او البرهنة .

ويمكن أن نجد هذا الربط بين أحكام القيمة ، وأحكام الواقع لدى الاتجاهات التي تؤكد على أن الأخلاق علم وصفى وليس علما معياريا . مثل أصحاب النظرية المنطقية في الأخلاق ، و " نظريات الحس الأخلاقي Moral – Sense Theory والتي ترى أن المفاهيم الأخلاقية إمبريقية ، وأن الفرق بين الصواب والخطأ الأخلاقيين أشبه بالفرق بين اللونين ، الأصفر والأزرق (٤٨) ، كما يمكن أن نجدها لدى الاتجات التي تحاول تأسيس " علم جمال " على أساس أن الحقيقة الجمالية ، والخواص الجمالية أشبه بالحقائق والخواص المتعلقة بموضوعات العلوم الطبيعية . وهكذا نجد أن الاتجاه الذي يؤكد على موضوعية

القيم وتبت المعيار " يربط بين أحكام القيمة وأحكام الواقع . أو يرى أن أحكام القيمة ماهي الانقريرات واقعية وذلك لأن موضوعات القيمة قد صارت – لديهم – موضوعات واقعية ، وأصبح الحكم ينصب على ما هو كائن . أي على الخواص ، وليس على ما يجب أن يكون ، أي ليس على علاقة الموضوع بالذات ، أو السلوك ، كما أن الفجوة التي كانت قائمة – ، وبين مايجب أن يكون أو (١٠ ought) قد تم عبورها | كبير " . (٤٩)

وهكذا نجد أنه بينما يؤكد العديد من المفكرين والفلاسفة على التناقض الحاد بين حكم الواقع ، وحكم القيمة ، مؤكدين على التقرير في الأول ، والمعيار في الثاني ، نجد أن فريقا آخر يحاول عبور الفجوة بين الحقيقة والقيمة ، ووضع علامة التساوي بين أحكام الواقع وأحكام التيمة على أساس أنها جميعا تقوم بالوصف أو التقرير ، وتتعامل مع الموضوعات وليس مع الذات المدركة .

ونحن نرى أنه إذا كانت مجالات القيم وثيقة الصلة بالذات الإنسانية خاصة فيما يتعلق بالأخلاق والجمال – موضوع بحثنا – فإننا لا يمكن أن نتجاهل الذات الإنسانية في هذه المجالات ، وبالتالي فإن الأحكام التقويمية تضع في اعتبارها الشعور ، والسلوك ، وغيرهما ، وبالتالي لا يمكن أن تخضع للتحقيق ، أو البرهنة الموضوعية بشكل كامل . وهذا يؤكد تباينها عن احكام الواقع أو الأحكام التقريرية القابلة للتحقيق والبرهنة كما أننا في اطار القيم نحدد " موقفاً " سواء مع أو ضد ، وهذا لابد أن يكون قائما على أساس معيار ما وبذلك تكون

أحكام القيم معيارية ، أي مباينة لأحكام الواقع (التقريرية) التي لا تضع معيارا لما يجب أن يكون بل تعبر عما هو كائن .

وفي النهاية فإننا نميل الى القول بتباين أحكام الواقع ، أو الأحكام التقريرية عن الأحكام التقويمية أو المعيارية .

الفصل الأول

(١) مفهوم القيمة

لقد تبين لنا في تمهيدنا للبحث أن مشكلة القيمة والتقويم تكمن في مدى فهم الفلاسفة والمفكرين لمفهوم القيمة ، وان انحياز البعض الي الأحكام التقريرية أو الأحكام التقويمية كان ناجما عن فهم محدد للقيمة وللتقويم من جهة والتفسير أو التأويل من جهة أخرى ، الأمر الذي يجعلنا نهتم بإلقاء الضوء على مفهوم القيمة ، وأحكامها ، وتصنيفات ، وغيرها حتى ينجلي اللبس حول المشكلة وتستطيع تبين أقرب معاني القيمة للدقة والإحكام .

ومن أجل ذلك فإننا سوف نضع بعض التساؤلات حول المعنى الشائع للقيمة والمعنى اللغوى لها ، ثم المعاني الفلسفية ، والاستعمالات المختلفة للمصطلح ، مع مناقشة لأهم النظريات التقويمية لتوضيح مفهوم القيمة.

القيمة بالمعنى الشائع :

ان أول ما يتطرق الى ذهن الإنسان العادي عندما نذكر كلمة قيمة " Value " أو القول بأن هذا الشئ " قيم " أو " ذو قيمة " هو أن هذا الانسان يفضل هذا

الشئ ، بمعنى يرغب فيه ، أو يحبه ، أو أنه يلي حاجة له ، فعندما يقال بأن هذا المتاع ذو قيمة فإنه يعني أنني أرغب فيه أو احتاج اليه وإذا قبل ان هذا " أقيم " من ذاك ، فان هذا معناه أن هذا الشئ بالنسبة لي يعتبر مفضلا عن ذاك ، أو أنني أرغب فيه أكثر من الآخر . كما أن تقويم الشئ من وجهة نظر الإنسان العادي إنما يوحي بنفس المعاني ، فأن تقوم شيئا بمعنى أن تقدره وتقدير الشئ ينطوي على تفضيل ورغبة .

ومن هنا نجد أن المعنى الشائع ينطوي على فهم ذاتي للقيمة بمعنى أن قيمة الشئ إنما تنبع من صلتها " بشخص ما " وهذا ينجم عنه أن ماهو مفضل بالنسبة لي قد لايكون كذلك بالنسبة لسواي . ولكن لما كان هذا المعنى يجنح الى كثير من التبسيط ، والعمومية انطلاقا من موقف الإنسان العادي الذي لا يعنيه من الكلمة غير الاستعمال العملي ، فإننا سوف نحاول فحص معاني القيمة على مستويات أكثر تحديدا ، ودقة ولعلها تكون أيضا أبعد بمسافة كبيرة عن الاستعمال الشائع للكلمة.

المعنى اللغوي للقيمة : قيمة الشئ في اللغة قدره . والقيمة مرادفة للثمن بمعنى أن قيمة المتاع تعنى ثمنه وتطلق القيمة أيضا على ماهو جدير باهتمام المرء وعنايته ، ولاعتبارات اقتصادية أو سيكولوجية ، أو اجتماعية ، أو جمالية . كما أن قيمة الشئ تعنى الصفة التي تجعل ذلك الشئ مرغوبا فيه ومطلوبا عند شخص من الأشخاص أو طائفة معينة من الناس . مثال ذلك قولنا : إن للنسب عند الأشراف قيمة عالية . وهذا يمثل المعنى الذاتي هتمام المارة للقيمة . اما

من الناحية الموضوعية ، فيطلق لفظ القيمة على ما يتميز به الشئ من صفات تجعله مستحقا للتقدير كثيرا أو قليلا ، فإن كان مستحقا للتقدير بذاته كالحق والخير والجمال كانت قيمته مطلقة ، وان كان مستحقا للتقدير من أجل غرض معين ، كالوثائق التاريخية والوسائل التعليمية ، كانت قيمته إضافية . (١) ونظرا لغموض مصطلح القيمة ، وجدته نجد أن الاستعمال الشائع في الانجليزية يتجه الى كلمة Good وليس الى كلمة " ذي قيمة أو قيم Valuable عند الإشارة الى شئ قيم (٢) . وقد تشير كامة قيمة الى عامل يساعد على إدراك هدف ، وقد تشمل كل مجالات الحياة الانسانية أو تشير هي ذاتها الى الهدف (٣) . وتعنى كلمة تقويم Valuation تقدير ما يساويه الشئ ، وهذا التقدير يعتبر تقديرا إقتصاديا بمعنى ما ، وذلك لأن المصطلح جاء من علم الاقتصاد ، والاقتصاد السياسي ، ثم تمركز في فرع من علم الاقتصاد يتعلق بالقيمة (٤) . (٢) مصطلحا القيمة " والتقويم " فلسفيا . لقد جاءت المعالجة الفلسفية للقيم ضمن فلسفة الأخلاق وفلسفة الجمال وفلسفة السياسة ، وغيرها . وكانت المذاهب الفلسفية المتباينة تحاول أن تجيب بشكل أو بآخر على الأسئلة والمشكلات المتعلقة بالقيم ، وقد جاءت الإجابة شديدة الاختلاف نظرا لتباين المنطلقات التى تبدأ منها هذه الاتجاهات والمذاهب الفلسفية . وكان مصطلحا " القيمة " و التقويم " يعانيان أيضا من اختلاف وجهات النظر عند استعمالهما إذ عني كل اتجاه أو مذهب مهتم بالقيمة بالتعبير عن المصطلح بالطر يقة التي نسجم مع سياق هذا الاتجاه أو ذاك المذهب .

ولكي نقف على أقرب المعاني الفلسفية للمصطلحين ، فإننا سوف تهتم بالإشارة الى هذه الاختلافات ، وذلك من خلال تصنيف للاستعمالات الفلسفية للمصطلح . ونحن حين تلقى نظرة شاملة على الآراء والاتجاهات الفلسفية التي استخدمت مصطلح القيمة أو التقويم ، فاننا نجد أن الاستعمال الفلسف للقيمة أو التقويم يمكن أن يكون على النحو الآتي : (١) استعمال " " القيمة " كاسم مجرد . Value As An Abstract Noun) استعمال " القيمة " كاسم أكثر واقعية (عادية) Concruted Noun ( ) استعمال · القيمة " كفعل Value As More Value As A Verb وهذه الاستعمالات المتباينة كانت وثيقة الصلة بوجهة نظر هذا الاتجاء أو ذلك فيما يتعلق بأحكام القيمة ، ولذا فإننا سوف نشير الى ذلك على أن تناقش بتفصيل أكبر موضوع احكام القيمة بعد ذلك (١) استعمال مصطلح القيمة كاسم مجرد ويوجد في هذا الاستعمال معنيان ع – استعمال " القيمة " بالمعنى الضيق للمصطلح ، – استعمال القيمة بالمعنى الواسع للمصطلح (١) استعمال القيمة " بالمعنى الضيق للمصطلح في هذا الاستعمال تكون القديمة معبرة عن الخير – المرغوب فيه اسعار الثمين Woh . وقد ناقش العديد من مند * افلاطون الموضوعات المختلفة التي طرحت تحت " القيمة "

وفي هذا الإطار نجد ان القيم ، وأشكال الخير قد صنفت على انحاء متباينة فقد ميز لويس Lewis المنفعة Utility أو الفائدة Usefulness عن الأغراض الأخرى . كما ميز القيمة الظاهرية (العرضية) Exterinisie Value والقيمة

الوسيلية Instrumental Value – أو وجود الخير كوسيلة لشئ مرغوب فيه – عن القيمة الأصلية Intrinsic Value وقد جعل القيمة الملازمة ، أو الخيرية Inherent Value , or Goodness ضمن القيم ، مثل القيمة الجمالية للأثر الفني ، والتي تنتج – فيما يرى – خبرات الخير Good Experiences عن طريق التأمل الجمالي في العمل الفني بالاستماع إليه أو مشاهدته واهتم " لويس " بشكل خاص بالقيمة الأصلية ، حيث يوجد الخير في ذاته ، أو المرغوب فيه كغاية As an End أو كهدف في ذاته ، وهذا يفترض ضمنا وجود القيمة الظاهرية (العرضية) أو القيمة الوسيلية ، والقيمة الملازمة أو الخيرية وقد جعل " لويس (٦) – أيضا – القيمة المساعدة أو المساهمة Contributory Value أوالقيمة التي تعتبر الخبرة ، أو جزءاً من الخبرة مساهما فيها ككل – نوعا من القيمة بطريقة أو بأخرى – فمثلا اذا كان الخشب يعتبر مفيدا في صناعة " الفيولينا Violin فانه يعتبر قيمة مساهمة بالنسبة " للفيولينا " التي تشكل قيمة أصلية . والفيولينا " يمكن أن تكون خيرا وسيليا لكونها وسيلة للموسيقى الجيدة ، والموسيقى يمكن أن تكون خيرا ملازما Inherently Good إذا كان الاستماع إليها ممتعا ، وخيرة الاستماع يمكن ان تكون خيرا أصليا ، أو قيمة أصلية إذا كان الاستمتاع بها يكون لذاتها . أما إذا مثلت جزءاً من أمسية طيبة أو عطلة إسوعية جميلة أو مريحة فإنها تكون خيراً مساعداً أو قيمة مساعدة – .

وإذا كان " لويس ، قد جعل المحور الرئيسي القيم بهش على أساس التمييز بين الوسيلة والغاية ، فإن " جري ديوي john ewey هاجم هذا التمييز وأكد على فكرة القيمة الشاملة Total Vahoe أو الخيرية ككل ، بينما أضاف بعض الكتاب إلى قائمة " أوس " القيمة الخلفية Moral Value على أنها تمثل نوعا من القيم يتعلق بالإنسان الفاضل wtous Man ومشاعر الخير ، أو الخواص التي تبين سمات الشخصية (٧) . وهناك ايضا من وضع بناء على استعمال مصطلح القيمة كاسم مجرد استعمالا ضيقا ، تصنيفا للخير Good ، فرأى أن هناك الخيرية الوسيلية Instrumental Goodness وتتمثل عندما نقول أن هذا السكين سكين جود Good Knife ، أي أنه جيد كوسيلة لشئ آخر هو القطع Kating أو ماشابه ذلك من استعمالات ، والخيرية التكتيكية Technical Goodness وهذا يتمثل على سبيل المثال في قولنا هذا سائق جيد Good Driver ، والخيرية النافعة كالنصيحة الطيبة واللذة (كالطعام الجيد) والرفاهية ، وقد وضع الخير الأخلاقي Moral Good تحت الخير النفعى (٨) . ولكن هذه الاستعمالات قد ووجهت باعتراضات ، لما تحمله من إسراف في التصنيف يبعدها عن الهدف الاصلي لدراسة القيمة . ٢ – الاستعمال بالمعنى الواسع (٩) وتستعمل كلمة قيمة كاسم مجرد بالمعنى الواسع لكي تشمل ، الي جانب الصواب Rightness الإلزام Obligation ، والفضيلة Virtue والجمال Beauty والحق Tash والقداسة Holitess ، والمصطلح بهذا المعنى يقع في الجانب الموجب لخط الصفر ، أما على الجانب الآخر (الجانب السالب) فيقع ما هر مار ، وخاطئ ، وغير ملزم .. الخ ويسمى بعدي Disvalue

وهكذا نجد أن هذا الاتجاه يرى أن المعاني الموجبة فقط هي التي يمكن تسميتها بالقيم أما المعاني السالبة ، أو المضادة لعديمة القيمة . ولكن هذا الاستعمال ليس هو الوحيد ضمن المعنى الواسع للقيمة كإسم مجرد . فكما اننا نطلق تعبير " درجة حرارة " على الرقم الذي يحدده الترمومتر سواء كان فوق درجة الصفر ، أو تحت درجة الصفر ، يطلق البعض مصطلح القيمة على الجانبين ، وما يقع في الجانب السالب يسمى " قيمة سالبة) – Negative Value١٠) وهذا الاستعمال (للقيمة كاسم مجرد بالمعنى الواسع) يعتبر مصطلح القيمة اسما شاملا لجميع المحمولات ، ومعارضا للحقيقة والوجود (١١) . كما أنه لم ينحرف الى التفريعات ، والتصنيفات التي عالجها الاتجاه السابق ، والتي لم تكن لها فائدة كبيرة . إذا كان هذا الاستعمال للقيمة كاسم مجرد (سواء كان بالمعنى الضيق أو بالمعنى الواسع) يبالغ في التجريد ، ويلجأ الى تصنيفات بعيدة عن العيانية فإنه يوجد من المفكرين من رفض هذا الاستعمال (ضيقا وواسعا) وحاول تعريف القيمة تعريفا فلسفيا كاسم أكثر واقعية أو عيانية . "

ب– استخدام مصطلح القيمة كاسم أكثر واقعية (عيانية) (١٢) إننا عندما نتحدث عن قيمة القيم Value of Values ، فاننا غاليا نريد أن نشير الى : (١) ما يقوم What is Valued أي ما يحكم عليه بأنه ذو قيمة ، وما يعتقد بأنه خير أو مرغوب In Desired . فتعبير القيمة يعني ما يتوق اليه الشخص أو ما يعتقد أنه خير . وكذلك قد تستخدم لتشير الى ما يعتقد الناس أنه صائب Right وملزم Obligatory أو ما يعتقد أنه حقيقي .

(٢) تشير كلمة قيمة – أيضا – الى ماله قيمة what has Value أو ما يمكن أن يكون ذا قيمة Valuable . أي أن القول بأن شيئا ما " قيم " يعني بأن من الشئ حاصل على القيمة ، كما يشير الى شئ خير أو صائب أو ملزم ، أو جميل أو حقيقي . (٣) وقد اعتقد بعض الفلاسفة أن القيمة محمول عام General Predicate مثل " اللون " الذي تتدرج تحته " محمولات قيمة " أكثر تعينا ، مماثلة لـ الأحمر " ، و " الأصفر " وقد سميت محمولات القيمة هذه الأكثر تعينا فيما Wetre , Valiser , Values اللون لا يعني الشئ الذي له لون ، بل لونا خاصا كالأحمر مثلا . وبناء على هذا فالقيمة لاتعني شيئا حاصلا على القيمة مل نوعا خاصا من القيمة ، مثل قيمة اللذة ، أو قيمة الشجاعة . وقد أسمى هؤلاء الفلاسفة ، الشئ الخير ، خيرا " Good " أو حاملا للقيمة Vaise Carrier . إذن فإن الصفة " ذا قيمة " تعني حاصلا على القيمة Having Value ، وكونه خيرا ، بمعنى ما (أو ربما بشكل أوضح لديه كميات ذات اعتبار . من القيمة Having A Considerable Amount Of Value) وهكذا فان استخدام مصطلح القيمة كاسم أكثر واقعية قد اقضي إلى أننا عندما نتحدث عن القيمة في (أ) ، (ب) فإن في وسعنا أن نمز أنواعا مختلفة من القيم تناظر الأنواع المختلفة لصور الخير ، ويمكن أن ، ولكن بوضوح أقل ، بين القيم الروحية والقيم المادية ، أو بين القيم الاقتصادية والقيم الأخلاقية والجمالية وقيم المعرفة والقيم الدينية . ٢ أن القيم تعلى ما يقوم ، أي مانحكم بأن له قيمة ، أو انه مرغوب .. الخ – أو ما هو قيم ، أي الشئ الخير أو الصائب .أو الجميل ..الخ . ثم هناك من جعلوا القيم لاتعني " شيئا " حاصلا

عليها بل نوعا خاصا من القيمة كاللذة والشجاعة ، والشئ ليس إلا حاملا للقيمة ، وبالتالي نميز أيضا . .

جعلوا القيم محمولات لموضوع هو الشئ من الحاصل عليها ، وهؤلاء هم الذين تأثروا " بشيار " ، و " هارتمان –) Hartman١٣) . – استعمال المصطلحين كفعلين (١٤) بالإضافة الى استعمال كلمتي , Valuation Value كاسمين مجردين وكاسمين واقعيين فانهما أيضا تستخدمان كفعارن . مثال ذلك عند تستعمل كلمتي قيمة ، وتقويم كالآتي : يقيم To • Valuating value ، وقيم Valund ، وكلمة تقويم Valving مترادفة مع تقويم Valuntion ، أو مع تقويم Evaluation . عندما تستخدم الكلمة في صيغة المبنى للمعلوم لتعنى فعل التقويم Act Of Evaluation . وليس في صيغة المبني للمجهول لتعنى نتيجة مثل هذا وكذلك الفعل . . ولكن أحيانا ما تستخدم كلمتي تقويم Evaluation • Valuation لكي تحددا فحسب نوعا من القيم ، اي نوعا يحتوي على " التأمل Reflection – – أو المقارنة Comparison – ولكن في حالات أخرى قد تستخدم كلمة تقويم Valuation بمعان أضيق أو أكثر اتساعا ، مناظرة لاستعمالات أضيق ، أو اكثر اتساعا لكلمة قيمة Value – وقد استعملت لتشمل الأحكام Judgments عما هو صائب Rught أو خاطئ أو ملزم ، أو عادل ، بالإضافة الى ماهو خير ، أو ضار ، وما هو مرغوب أ و ذي شأن (١٥) . وهناك ايضا من جعل مصطلح " تقويم * Valuation " يشمل فحسب الأحكام التي تتعلق بما هو خير ، أو ضار أو مرغوب فيه . أو ماهو جدير بالاهتمام (١٦) .

ومن المفكرين من ميز بين نوعين رئيسيين من الأحكام التقويمية Vatantive Judgments والأحكام الوصفية ، فعلى سبيل المثال ، نجد " كاپلوره Tylor قد صلف احكام الصواب والخطأ بالإضافة الى أحكام الخير والشر تحت الأحكام التقويمية ، بينما جعل غيرها من الأحكام تحت الأحكام الوصفية ، في حين أن آخرين قد وضعوا أحكام الصواب والخطأ تحت الأحكام الوصفية . وبالنسبة للفعل to Valse فقد ميز * ديوي " بين معنيين له ، فهو اولا : يقيم أو يثمن To Prize ، أو يميل Like أو يقدر Estimite أو يبقى في الذهن ، أو يعتز بشئ ما . ثانيا : يعني يثمن ، أو يقدر أو يقوم ، حيث يشمل المقارنة والتأمل ، بينما هذا لا يكون في المعنى المقصود في " أولا " . في المعنى الأول يضع في اعتباره الرغبة الخالصة ، أو الميل المحض كصورة من صور التقويم . وقد تابع " ديوي " في هذا الرأي بعض المفكرين ، وإن كان بعض الكتاب قد حددوا التقويم بعيدا عن الأشياء التي تكون مرغوبة أو موضوعا للميل الإنساني وجعلوه في الأشياء التي تكون موضوعا لحكم " الخير " ، أو حاصلة على القيمة . قد راي * سري ' ان تعبير " س خبر " يكون مساويا لتعبير حاصلة على القيمة الإيجابية ، وفي نفس الوقت مساوية لـ " س موضوع ايجاني ، مؤكدا على أنه يجب علينا أن نميز بين رغبتنا في س وحكمنا على " س " بأنها حاصلة على القيمة ، (١٧) وهكذا لان استخدام المصطادين الله . . صورتيهما العمليتين سواء التملا على المقارنة والتامل ، أم بالمعنى Value

الضيق الذي لا يجعل الحكم بالحصول على القيمة اساسا لفهم المصطلح بل يجعل الرغبة ، أو الميل المجردين صورتين من صور التقويم ، وسواء جعل موضوع التقويم موضوعا إيجابيا ، أو موضوع اهتمام (مثل رالف بارتون برى) . وكان التباين شانه شان الاستعمالين السابقين (كاسم مجرد ، أو كاسم واقعي متعين) يشمل تفريعات ، وإن كانت أقل تشبعا من الاستعمالين السابقين . لقد فهم المصطلحان على أنحاء شتى ، واستعملا بطرق متباينة ومتعارضة ، وأحيانا غامضة ، وبسبب الغموض في استخدام المصطلح ، وفضفاضية التعامل معه ، فضل المفكرين (١٨) الاحتفاظ بالمصطلحات التقليدية مثل " خير " و " صواب " وغيرها والتى تعتبر أفضل – من وجهة نظرهم – من حيث التحدد والوضوح .وان كان هذ يصادر على كل انجازات حديثة لتحديد المصطلح . هيز صد كل الانجا مرات عدسة ٣ . الخير ، والحق ، والجمال لقد كان الغموض يلف مسألة القيم وأهميتها من الناحية التاريخية ، لأن الفلسفة القديمة لم تجعل القيمة – وفق التصور الحديث – موضوعا للنظر والاعتبار ضمن موضوعاتها ، ولكننا يمكن ان تجد بدايات ظهور فكرة القيمة عند " أفلاطون " الذي رأى أن الخير وحدة واحدة ، وأن الفضائل المختلفة ماهي إلا أسماء متعددة للموقف الأخلاقي . فقد جعل " افلاطون " مثال الخير هو المبدأ الأسمى والموحد لعالم المثل ، ووضعه على قمته كمنسق ومنظم لسائر الصور والنماذج ، واضعا بذلك القيمة فوق الوجود جاعلا منها المبدأ الأول للتفسير (١٩) .

ويمثل الثالوث " الخير – الحق – الجمال " وحدة واحدة إذ أن الخير هو رئيس عالم المثل ، والشمس التي تضيئه . والخير الأخلاقي هو أساس الخير الجمالي والقيمة تسمو على المنطق أو الحق .) ويري " ماكنزي Mackenzie أن الأخلاق ، والجمال ، والمنطق دراسات متشابهة ، لأنها – في رأيه – جميعا معيارية Normctive وليست وضعية Positivism ، لأنها لا تتعلق بالحقائق أو استقصاء الحقائق والعلاقات فيما بينها ، بل بالمعايير . فالمنطق يدرس معيار الصدق Truth وعلم الجمال يتعلق بالتقويم الجمالي ، وعلم الأخلاق يضع معيار الخيرية ، والأخلاق يمكن أن يقال إنها منطق السلوك Logic of Conduct أي أنها تضع في اعتبارها حالات انسجام الفكر مع المعايير التي يتضمنها ، ودراسة " الخير " وثيقة الصلة بدراسة الجمال . وقد استخدم اليونانيون نفس المصطلح بلا تمييز يبعده عن النبل الجمالي أو الأخلاقي في نفس الوقت . (٢٠) وقد كان ارتباط الخير بالجمال أساس فكرة الربط بين الفن والأخلاق ، والدين . وقد وجدت هذه الفكرة لدى الحضارات القديمة في الصين والهند واسبرطة ومصر ، فنجد كونفشيوس " Confucius يربط بين الفن – خاصة التعبير الموسيقى ة النفس وبين خشون ، والتكبر ، والطراوة والمروعة والشهوة ، كتعبير عن تلازم الجمال والأخلاق (٢١) – وقد كان اليونانيون " لايفرقون بين الجمال Beauty و الخير ولم يجعلوا الخير الجمالي Aesthetical Good منفصلا عن الخير الأخلاقي) Ehical pol٢٢) ، والخير والجمال لم يكونا متمايزين ، بل الاخت بينهما نجم عن تباين التطبيق في مجال واحد (٢٣).

بين وقد كان ربط افلاطون " بين الخير والجمال من خلال تصوره لوحدة القيم – أساسا أقام عليه تصوره عن الجمال المعبر عما هو اخلاقي ، وضرورة انطلاق الحكم الجمالي من منطلقات أخلاقية ، ولذا نراء يربط الانسجام والإيقاع ، وبين الخير ، مؤكدا على وجود تشابه جوهري بين إدراك الجمال والخير ، لأن هذا يمثل إدراكا لبساطة النفس التي تجمع بينهما (٢٤) . وبناء على هذا فإننا نجد " أفلاطون " يقيم أحكامه على أسس اخلاقية ، إذ ينصب الاهتمام في الفن على ما يقدمه من نماذج وشخصيات أخلاقية ، والدور التربوي الذي يلعبه الفن ، مما دفع أفلاطون " الى تضييق الشقة على الفنانين والشعراء (٢٥) وقد وجدت فكرة وحدة الخير والجمال أيضا في الأدب العرى Hebrew Literature اذ نجد عبارة " جمال القداسة Beauty of Holliness ما تلتقي في العصور الحديثة بعبارة النفس الجميلة Beautiful Soul والحياة الجميلة Beutiful Life وهذه العبارات تشير بصفة عامة الى التقوي الدينية أكثر منها الى الأخلاق الخالصة (٢٦) . وهكذا نجد أن توحيد الجمال والخير كان واضحا في الفكر القديم كما يتردد لدى بعض المحدثين . وكان التوحيد الأفلاطوني بين " الخير " ، والحق " ، " والجمال " ، على أساس أن مثال الخير على قمة هذه المثل المثل مؤديا إلى اختلاط أحكام القيمة مع أحكام الواقع ، وأن كان الرأي الأفلاطوني قد جعل أحكام الخير (القيمة) تسمو على أحكام الوجود . وقد يكون أساس الوحدة هو القول بأن لها مصدراً واحداً هو القيمة Absolute Value التي تفيض وتشع بكل القيم الأخرى ، إنها النبع المطلقة مهند الخالص والمصدر النهائي لكل القيم ، ولا معنى للخير والحق

والجمال . إن لم تكن هذه القيم من " الله " ذاته . فالجمال لا يمكن أن يكون غريبا عن الحقيقة ، لأنه هو الذي يفرض على الحقيقة البساطة والانسجام العقلي كما أنه يحول معاني الخير الى الحرية بدلا من الإلزام . (٢٧) ولكن هذه النظرية الشمولية لم يكتب لها الاستمرار لأن توحيد القيم يعني توحيد أحكامها ، وهو الذي لم يجد قبولا كبيرا بين الفلاسفة . فما لبث الحق أن انفصل عن الخير ، وأسس المنطق الأحكام التقريرية ، أو أحكام الحقيقة التي تقوم على الاستدلال المنطقى ، والذي يبين مدى الارتباط بين طرفي القضية ومدى صحة حمل المحمول على الموضوع ، وهذه الأحكام التقريرية تصف أو تقرر شيئا بالفعل . وقد وصل الفكر المعاصر – لدى بعض اتجاهاته ، كالوضعية المنطقية وفلسفة التحليل الى جعل الحق فوق الخير ، عكس ما كان يرى أفلاطون (٢٨) . وقد قدمت انتقادات للنظرية التي تجمع الحق الى جانب الجمال على أساس أنه لو كان الجمال لا يقصد إلا الحق لجازلنا أن نستغني عن أحد اللفظين ، واستطعنا أن نستعمل أحدهما مكان الآخر ، وكذلك ليـ في وسعنا أن نصف كل الأشياء الجميلة بالصدق ، وإلا كيف تصدق الزهرة ، أو يصدق الغروب أو الشلال ؟ ! (٢٩) . أما بالنسبة للربط بين الجمال والخير فإن أراء أفلاطون قد ظلت سائدة لفترات طويلة ، فقد كان " أفلوطين * يرى أن طبيعة الخير تشع الجمال " (٣٠) ، وأن الجمال الذي هو الخير أيضا يجب أن يكون موجودا في الواحد (٣١) وكذلك عند الاتجاهات اللاهوتية ، وعند بعض الاتجاهات الفلسفية الحديثة والمعاصرة (٣٢) ولكن هناك من فصل فصلا .

حاداً بين الجمال والخير ، فقامت مدرسة " الفن للفن التي تعلى رايه الجمال في مواجهة الرؤيا الأخلاقية للفن ، كما اتضح لدى العديد من ممثلى هذه المدرسة ، مثل " " أوسكار وايلد " ، و " بودلير " وغيرهما كما ظهرت لدى " بندتوكروتشه " (٣٣) الذي رفض أن تكون الواقعة الجمالية واقعة اخلاقية ، وكذلك لدى الاتجاهات التي ترفض مفهوم التقويم ، وتضع مكانه التأويل أو التفسير والوصف عند معالجة الأعمال القلية والأدبية – وذلك كما هو واضح لدى الاتجاهات الشكلية والبنيوية – وهكذا نجد أن ثالوث (الخير – الحق – الجمال) قد تقوضت وحدته ، وأصبحت الآراء التي تعبر عن العلاقة بين مقولاته تصل الي معارضة إحدى القيم بغيرها من مجالات القيم وأنواعها لقد اتسعت مجالات القيمة ، ولم تعد تقتصر على التصور الذي وضعه أفلاطون لثالوث (الخير – الحق – الجمال) ، فقد شملت الى جانب مجالات الأخلاق والجمال والمنطق ، أيضا ، الاقتصاد ، والاجتماع ، والسياسة ، والتاريخ ، والدين .. كما أن تصنيف القيمة شمل أنواعا متعددة من القيم ، وذلك من خلال التقسيمات الثنائية للقيمة ، فنجد أن هناك القيمة الموجبة والقيمة السالبة ، أو ال قيمة الأصلية والقيمة الوسيلية ، والقيمة المباشرة والقيمة غير المباشرة ، والقيمة الفعلية والقيمة الممكنة وغيرها . وسوف نبدأ بالاشارة الى بعض مجالات القيمة ، ثم يتلو ذلك إلقاء الضوء على بعض أنواعها .

أولا : مجالات القيمة

تتعدد وتتسع مجالات القيمة – كما اسلفنا – لتشمل الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية من الحياة بالإضافة الى الأخلاق والجمال .. وغيرها ، وسوف نشير في هذا الموضوع الى القيمة الاجتماعية والقيمة الاقتصادية والقيم الثقافية ، لأهميتها في توضيح تطورات مفهوم القيمة ، أما القيمة الجمالية والقيمة الأخلاقية فسوف نتركهما للفصلين الثاني والثالث حيث تدرسان دراسة تفصيلية نظرا لأنهما تشكلان صلب موضوع البحث .

(أ) القيمة الاجتماعية

القيمة كمصطلح عام في العلوم الاجتماعية قد تعنى أي موضوع أو حاجة ، أو اتجاه أو رغبة . ويستخدم المصطلح في معظم الحالات حينما تظهر علاقة تفاعلية بين الحاجات والاتجاهات والرغبات من جهة والموضوعات من جهة أخرى ، كما انه يعني دائما في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا ، المستويات الثقافية المشتركة التي نحتكم إليها في تقدير الموضوعات والاتجاهات الأخلاقية أو الجمالية أو المعرفية ، وهناك اعتقاد بين من يشاركون في هذه المستويات بأنها صادقة وانه يتعين الاعتماد عليها في تقييم الموضوعات (٣٤) .

وقد راى " كارل مانهايم " " ان القيمة قد لا ترتبط بموضوع أو نشاط ما ولكن يمكن ان يكون الموضوع أو النشاط ذا قيمة اذا ما أصبح ضروريا ، ومؤكدا في سياق الحياة الإنسانية " . (٣٥)

أما دور كايم " Emile Durkheim (١٨٨ – ١٩١٧) فقد أكد على أن الأخلاق والقيم الاجتماعية تنبع من المجتمع ، وذلك أن الفرد هو بالضرورة

عضو في جماعة كبيرة أو صغيرة ، والأخلاق تنهض على أسس اجتماعية لأنها تتغير عندما تتغير المجتمعات ، وأكد أيضا على اسبقية ماهو اجتماعي على ماهو فردي ، لأن الانسان يجد كما يرى " دور كارم * " نسقا تقليديا المعتقدات والممارسات معدا بشكل مسبق يجب أن يكيف ذاته معه (٣٦) ، فالمجتمع هو الكائن المطلق ، هو قوة متعالية تحقق هايات إنسانية ومثلا جمعية ، وهذا هو السبب الذي من أجله يسمو الإنسان على فرديته ويتعدى وجوده الذاتي ليشارك في صورة أسمى " منخرطافي الوجود الجمعي .

" ودور كايم " حين رد القيم الاجتماعية الى المجتمع قد للت الأنظار إلى الأسس الاجتماعية للقيم جاعلا القيمة نتاجا اجتماعيا محضاً وقد عرف كلو كهوهن C. Kluckhoha • القيم بأنها تصورات لما هو مرغوب فيه بحيث يسمح لنا بالاختيار من بين الأساليب المتغيرة للسلوك والوسائل والأهداف الخاصة بالفعل .

أما " بارسونز " فيعرف القيمة بانها عنصر في نسق رمزي مشترك يعتبر معياراً أو مستوى للاختيار بين بدائل التوجيه التي توجد في الموقف . فكان القيم هنا تمثل معايير عامة وأساسية يشارك فيها أعضاء المجتمع وتسهم في تحقيق التكامل وتنظيم انشطة الأعضاء (٣٧) .

ويعتبر " النسق القيمي " Value System " مجموعة من الأفكار العملية أو من واقع السلوك ، كما أن عملية التقويم التي عن طريقها يمكننا الوصول إلى

هذه الأفكار العملية ، هي عملية اجتماعية وعقلية للاختيار والتنافس والتنظيم الموضوعة في الاعتبار دائماً .

وهو – أى النسق القيمي – نموذج منظم للقيم في مجتمع أو جماعة ما ، وتتميز القيم الفردية فيه بالارتباط المتبادل الذي يجعلها تدعم بعضها البعض وتكون كلاً متكاملاً ، هذا ويحدد النسق القيمي إطاراً لتحليل المعايير ، والمثل و المعتقدات والسلوك الاجتماعي (٣٨) .

واذا كان الأشخاص يمكن أن يتحدوا معا حول بعض القيم كالصداقة والحب على اعتبار أن كل شخص يمثل قيمة بالنسبة للشخ الآخر ، أي أنه في بعض الجماعات يكون كل عضو موضوعا لاهتمام كل الاعضاء الآخرين ، وبالتالي فإن كل عضو له قيمة اجتماعية بالنسبة للجماعة ككل ، فإن هذا لا يمنع وجود ترابط بين جماعة من الناس على أساس قيم سلبية ، كأن يترابط الأشخاص نتيجة لعدائهم كل للآخر ، لطة والولاء أو عدائهم لقيمة سلبية Negative Value ما (٣٩) .

وتعبر القيم الاجتماعية عن مضامين والتنافس والصراع .وذلك في إطار العلاقات الاجتماعية الكائنة في المجتمع ، لأن القيم تعكس بشكل جدلي درجة نمو ونضج هذه العلاقات في تفاعلها مع الأفراد . ذلك أن القيم ترتبط بالأدوار التي يقوم بها الأفراد داخل البناء الاجتماعي Social Structure ، بل إن الإنسان يتعلم القيم من خلال الدور الذي يلعبه في المجتمع .

وتلعب القيم دورا هاما في بقاء الأنساق الاجتماعية واستمرارها ، ذلك أنها _ أي القيم – تتيح للأشخاص تصور ما قد يحل بهم من جزاء اذا سلكوا سلوكا معينا إيجابيا كان أم سلبيا . وهذا يعمل على استقرار هذه الأنساق الاجتماعية . ولكن يجب أن نؤكد بأن هذا الدور ، رغم أهميته ، قد يكون سلبيا في أحيان كثيرة عندما تكون القيم التي تقوم بهذا الضبط قيما سلبية ، أو قيما تؤكد على الخضوع أو السلبية تجاء التفاعلات الاجتماعية الديناميكية ، أو ترسخ مفاهيم لا تتناسب مع طبيعة المرحلة التاريخية والاجتماعية التي يعيشها المجتمع .

وهكذا نجد أن دراسة القيمة من الناحية الاجتماعية ذات اهمي بالغة إذ تضئ الكثير من الجوانب التي لا يمكن رؤيتها بعيدا عن هذا الإطار الاجتماعي . وحسبنا هنا مجرد الارشاد الى القيمة الاجتماعية ، إذ أن مجال دراستها يتسع الى حد يخرج كثيرا عن غرض بحثنا هذا.

(ب) القيمة الاقتصادية

تتعلق القيمة في الاستعمال الأكثر شيوعا بالمفهوم الاقتصادي . فعندما نتكلم عن قيمة التبطل ، وأيام العمل ، فإننا بصفة عامة تعنى إما المستوى الذي تسهم فيه بسداد حاجات إنسانية ، أو التقدير النسبي كما يعبر بمصطلح النقود على سبيل المثال ، عن موضوع ما ، أو من الأمور الانسانية (٤٠) .

مجمو وقد ميز " آدم سميث " بين القيمة فى الاستعمال ، والقيم مسم التبادلية ، وقد رأى " كارل ماركس " أن القيمتين في تناسب عكسي (٤١) .

وقد أخذ مصطلح القيمة صورته على يد " ريكاردو " الذي ربط بين القيمة وكمية العمل المبذول ، ولكنه – أي " ريكاردو " – حاول أن يتبرأ من هذا الفهم في ردوده على " " مالتوس " إذ قال : " إن مالتوس يعتقد أن القيمة تعادل نفقة الانتاج وهذا صحيح إذا كان يعني بـها نفقات الانتاج بما في ذلك الربح ، وتعتبر لذلك نسبة نظرية القيمة في علاقتـ بالعمل الى " كارل ماركس " أكبر منها الى ريكاردو " . وان كان أصلها يرجع الى " ريكاردو " . (٤٢) وقد كتب " فردريك إنجاز " Frederick Engles " .

يقول ماركس Marx – منطلقا من أبحاث " ريكاردو " – مايلى : " إن قيمة السلعة تحدد بما يتجسد فيها من العمل الانساني العام الضرورى اجتماعيًا ، وهذا العمل يقاس هو الآخر بديمومته ، وان العمل هو مقياس سائر القيم ، ولكن العمل بحد ذاته لا يملك قيمة " (٤٣).

فقد كان الأساس في فكرة " ماركس " عن القيمة موجودة لدى ريكاردو " ، ولكن " ماركس " جعل هذا الفهم أساسا لنظرية فائض القيمة (القيمة الفائضة) كما أقام على أساسها العلاقة بين العامل ، وصاحب رأس المال مؤكدا على ان العمل هو مقياس القيم جميعا) وان كان العمل في حد ذاته– كشئ مجرد – لا يملك قيمة .

وقد رأى " دوهرنج " أيضا أن العمل هو مقياس القيمة ، ولكنه ربط ذلك بقيمة زمن العمل ، وقيمة زمن العمل بوسائط المعيشة اللازمة من أجل البقاء ، وأنه

في النهاية رأى أن قيمة البضاعة تحدد بما تحتوى عليه من أجور ، أي أنها تحدد بتكاليف الانتاج (٤٤) .

وبذلك يكون قد انتهى الى عكس ما كانت تريده الماركسية ولذا فقد هوجم بعنف من فردريك إنجلز • الذي رأى أن القول بتحديد قيمة البضائع بواسطة الأجور ، الذي كان يتردد كثيرا بعد آدم سميث ، جنبا الي جنب مع تحديدها بواسطة زمن العمل ، قد انتهي في الاقتصاد السياسي منذ أيام " ريكاردو " ولم يعد له وجود في الوقت الحاضر إلا في الاقتصاد – المبتذل – على حد تعبير انجلز (٤٥) .

وقد عرفت البضاعة على أنها شئ يلبي حاجة ما من حاجات الانسان ، وأنها شئ لا للاستهلاك الشخصي ، بل للبيع والمبادلة .فالإنسان الذي ينتج شيئا لاستهلاكه الشخصي لا يصلع سوى المنتوج ، ولكنه لا يصنع بضاعة . فلكي يصبح المنتوج بضاعة ينبغي أن يلبي حاجة اجتماعية ما ، اي أن يستجيب لحاجة من حاجات المجتمع (٤٦) .

وخاصية البضاعة التي تشير الى قدرة الموضوع على إشبع رغبة أو حاجة إنسانية هي ما يسمى بالقيمة الاستعمالية (قيمة الاستعمال) . Value in use (٤٧) .

واذا كانت البضائع تتصف على العموم ، الى هذا الحد أو ذلك ، بالخصائص المميزة التالية : النفع ، والقدرة على أن تكون موضع طلب وعرض ، والندرة ، والعمل فأي هذه الخصائص تعين قيمة البضاعة ؟ قد يبدو النفع سببا للقيمة ،

فبقدر ما يكون الشئ نافعا ، ضروريا ، يكون قيما ، بيد أن الواقع يدل على أن النفع ليس سبب القيمة ، لأن أنفع الأشياء غالبا مالا تكلف بدلا (كالهواء) أو تكلف بدلا ضئيلا مثل الماء المتوفر بكمية كافية في الطبيعة ، في حين أن أشياء قلما تنفع الانسان ، أو قلما تشكل ضرورة وحاجة ماسة له لكنها تكلف أثمانا غالية للغاية (مثل الماس والمجوهرات) . ولذا فإن قيمة الاستعمال شرط للقيمة لاسيب لها . (٤٨)

واذا كان الاقتصاد الرأسمالي قد أكد على أن العرض والطلب هما اللذان يحددان القيمة على أساس أن ارتفاع سعر سلعة يكون نتيجة لزيادة الطلب عليها ، وعلى العكس انه بازدياد عرض السلعة يكون نقصان أو هبوط أسعارها . ولكننا لو تمعنا في الأمر لوجدنا أن هذا لا يحدد القيمة بل يحدد درجة انحراف أسعار السوق عن قيمة البضاعة فإذا إزداد الطلب على بضاعة وقل عرضها ارتفعت أسعار السوق الى أعلى من قيمتها والعكس صحيح ، ولا تتساوى أسعار السوق مع القيمة إلا اذا تساوى العرض مع الطلب ولكن هذا لا يحدث أبدا تقريبا في ظل الانتاج البضائعي الرأسمالي ، وهذا يعني أن الطلب والعرض لا يحدان قيمة البضاعة . (٤٩) .

وهذا يعيدنا إلى رأي " ماركس * إذن في أن العمل هو الذي يحدد قيمة البضاعة فبقدر ما يتطلب انتاج هذه البضاعة أو تلك من العمل ، يقدر ما تكتسب هذه البضاعة قيمة أكبر ويكون سعرها أعلى ، فالذهب أغلى من الفحم الحجري لأن البحث عن الذهب وفصله عن المواد الغريبة يقتضيان من العمل

كمية أكبر بكثير مما يقتضيه استخراج نفس القدر من الفحم الحجرى . فالقيمة ، هي عمل المنتجين المجمد في البضاعة ، وقيمة البضاعة مقوله اجتماعية غير منظورة ، ولكنها تعرب عن وجودها كلما جرت مبادلة بضاعة ما ببضاعة ، وكلما جرت مقارنة أو معادلة بضاعة بأخرى (٥٠)

ويعبر مصطلح قيمة التبادل (القيمة التبادلية) Value in Exchange للدلالة على مبادلة وحدات من شئ معين مقابل وحدة أو أكثر من شئ آخر . وهو ما يعبر عنه في الوقت الحاضر بسعر السلعة The Price of commodity أو النقود (٥١) .

وقد قطعت قيمة التبادل طريقا طويلا ، فحينما كانت المنتوجات معدة للاستهلاك المباشر ، لا للتبادل ، لم يكن فائض الانتاج يدخل حلية التبادل إلا عرضاً ، وكانت كمية المنتوجات المتبادلة محدودة ، ولكن مع تقسيم العمل بدأت تظهر قيمة التبادل . ومع تطور الانتاج ال بضائعي وتطور التبادل بدأت تنفصل وتتميز عن جميع البضائع بضاعة اشتد الطلب عليه أكثر من غيرها ، وصارت المعادل العام أو المعيار لكل بضاعة أخرد وتم بناء على ذلك الانتقال إلى شكل القيمة العام ، وانتهى الأمر فيما بعد الى أن تطور إلى شكل القيمة النقدي ، اذ أن النقد هو بضاعة معينة و اليها وظيفة اجتماعية قوامها التعبر عن قيمة جميع الأخرى (٥٢) .

وقد عبر " ماركس " في نظريته من القيمة الفائضة (فائض القيمة) Super plus Value – على أساس الجهد المضاف ، أو الزائد الذي يقضيه العامل

من أجل صاحب الرأسمال ، وعن طريق تراكم القيمة الفائضة بتراكم جهود العمال يقع التناقض بين العامل المأجور وصاحب العمل (٥٣) .

كما أكد أنه يجب ألا تخلط بين فائض القيمة وبين الربح أو مكاسب رأس المال ، فهذه المكاسب هي بالأحرى نوع من القيمة الفائضة ، وغالبا ما تكون جزءا منها . ولكن " دوهرنج " كان في تفسيره لماركس يؤكد على أن فائض القيمة هو في اللغة اليومية مكاسب رأس المال . وهذا مادعا " إنجلز " الى الرد عليه وتوضيح أن القيمة الفائض متنوعة جدا ، وأنها بمثابة عمل غير مدفوع الأجر يثبت في البضائع ، ويقتسمه صاحب رأس المال مع غيره من الرأسماليين ، والملاكين العقاريين ..الخ . وهؤلاء الذين يقومون بوظائف أخرى في مجموع الانتاج الاجتماعي ، إذ أن القيمة الفائضة تتفصل الى أقسام عديدة ، وترتدى أشكالا مختلفة مستقلة في الظاهر عن بعضها البعض ، كـالربح الصناعي ، والفائدة ، والربح التجاري ، والربع العقاري .. الخ (٥٤) .

وقد قدم علم الاقتصاد للقيمة تعبيرات ومصطلحات أكثر تشعبا ، مثل " القيمة الاسمية Nominal Value التي تعبر عن القيمة المدونة على أي صلك أو وثيقة أو ورقة بنكنوت ، وقيمة التعادل Par Value المعبرة عن قيمة العملة بالذهب . وهذا المصطلح يتعلق بصندوق النقد الدولي ، وقد وضع آدم سميث " مصطلح القيمة المطلقة Absolute Value وهي القيمة التي لا تتأثر بالبيع والشراء (٥٥) .

وقد كان لاتساع نطاق مفهوم القيمة الاقتصادية أثر كبير في تشعب الأطر التي يدرس من خلالها ويلقى الضوء على معانية المتباينة أو علاقتها بالبناء الاقتصادي ، مما أدى الي ظهور العديد من المدارس والاتجاهات في هذا الشأن .

(حـ) القيمة والثقافة

تشكل العلوم الثقافية – في رأي بيرى – فروعا من المعرفة تتناول النظم الكبرى وهذه النظم الكبرى تتصل بمركبات الفائدة والمنفعة والقيمة . ولذا فإن دراسة العلوم الثقافية يمكن ان تساعد على تميز مجالات القيمة ، وأهميتها (٥٦) .

وقد رأى البعض أن القيمة بمثابة جزء من الثقافة ، سواء في المضمون أو الشكل (٥٧) واذا كانت القيمة الاجتماعية نتاجا للحياة الاجتماعية ، وللتفاعلات الديناميكية بين طبقات ، وفئات المجتمع ، فإنها تصبح جزءا من الثقافة ، ويتم تداولها وانتقالها عبر الثقافة ، وفي إطار التفاعل الثقافي الاجتماعي (٥٨) .

وقد رأى " رالف بارتون بيرى " أن الثقافة هي القعل الانساني المقابل لفعل الطبيعة ، اي هي ما يصنعه الانسان في بيئته الطبيعية وبملكاته الطبيعية ، أي ما يفعله من أجل رغباته ومصالحه . وما ينتج عن هذا يندمج في حياته التالية .فالثقافة ليست مجرد ما يصطنعه الانسان ، بل هي ما يصنعه من أجل مصالحه المكتسبة وتطوير قدراته (٥٩) .

وتمثل القيم العلاقات المنظمة للثقافة . وعلى أساسها يتم تقدير ثقافة ما أو التفضيل بين ثقافتين ، وهذا لا يعنى تعالى القيم على الثقافة بل جب أن تؤكد – أيضا على أن " " القيم تكون متضمنة في بحث ودراسة الثقافة " (٦٠) إذ أن الثقافة تكون معبرة عن قيم معينة ، سلباً أو إيجاباً .

وتدل الثقافة على التنوع والكلية لما يصنعه الانسان بنفسه وبيئته . وتتجسم الثقافة في مواقف وأفكار وميول ونزعات الناس ، وفي الأشكال المادية التي تعبر عنها وتضعها موضع التنفيذ (٦١) .

وتنتقل الثقافة من المجتمعات الأكثر تحضرا إلى المجتمعات الأقل تحضرا ، وذلك اذا استطاع المجتمع المنقولة اليه الثقافة تعلم كيفية استخدام أدواتها ، والاستفادة من علاقتها وابنيتها ، واستيعابها وهضمها في طريقته للحياة .

وتقوم اللغة والأدب والفن بدور فريد في تسجيل الثقافة ، فالكلمات وتركيبات الجمل والمصطلحات ، وأسلوب اللغة ، والاشكال والخطوط ، واللمسات الرقيقة لفرشاة الرسام ، أو لمسات أزميل النحات ، كلها تسمح باختلافات متنوعة لاحد لها في انتقال وحفظ الثقافة (٦٢) .

ومع انتقال الثقافة تنتقل القيم التي تعبر عنها هذه الثقافة ، وهذا الانتقال من مستوى حضارى أرقى الى مستوى حضاري أقل ، يؤدي الى تغيير في القيم مما يؤثر على أحكام الناس وسلوكهم .

وتوجد عدة طرق يمكن بواسطتها التمييز بين الأنماط الثقافية المتعددة ، وذلك تبعا للعنصر المختار على أنه المتغير المستقل . فقد يكون هذا المتغير دينيا أو اجتماعيا أو اقتصاديا أوتكنولوجيا .. الخ .

وتعتبر الثقافة تعبيرا عن الواقع الاجتماعي الذي ترتبط به القيم أيضا . ويمكننا القول بأن الثقافة " حامل للقيم " ، ومعبر عنها في أن واحد ، فالثقافة تتضمن جملة من الأشياء يقع ضمنها الفن ، والأدب ، والعادات ، والتقاليد . والأعراف ..الخ وهذه جميعا تعبر في كل مرحلة تاريخية عن تأثيرات البناء الاجتماعي في الأفراد وعلاقاتهم به ، كما أنها سواء بشكل مباشر أو غير مباشر ، نمط الأخلاق ، وقيم العدالة والفضيلة ، والقيم الجمالية ، وغيرها ، من القيم التي تسود هذه المرحلة كما يعبر مستوى الثقافة عن مدى نضج محتوياتها القيمية ، وتأثيرها في الواقع .

ومن الجدير بالذكر ، أن شرح الأخلاق وتفسيرها ، وتعريف النظم ، واللوائح واختبار علاقاتها بالعلم يمهد الطريق الى تصنيفها وتنظيمها ، ومن ثم دراستها . واذا كان علينا ان نميز العلوم الثقافية عن طريق الطابع الثقافي لمادتها ، فإن تصنيفها سيعكس تقسيمات الثقافة البشرية ، مع التركيز على الاختلافات التي تشرح الموضوع العام لدراسة القيم ، ويشمل دور الأخلاق في الحياة الانسانية ، والمعايير القياسية للنظم الكبرى ، وتلك القيم البارزة التي تكون في مجملها ما يمكن أن يسمى (بالحضارة) . (٦٣)

وتوجد علوم ثقافية يقابل كل علم منها على حدة نظاما اخلاقيا ، وتختلف فيما بينها في أن كلا منها له وظيفة خاصة ، أو ذريعة خاصة يخدم بها هدفه الأخلاقي المشترك ، وينتمي الى هذه المجموعة ، علم الأخلاق ، وعلم السياسة وعلم الاقتصاد ، والتشريع . كما توجد علوم ثقافية موضوعها في حد ذاته ليس أخلاقيا ولكن يمكن ان تقوم بتأثيرات أخلاقية معينة ، فنحكم عليها تبعا لذلك . وعندما تدرس هذه العلوم ينبغي أن يؤخذ في الاعتبار الفرق بين معانيها غير الأخلاقية ومعانيها الأخلاقية ، والعلاقة بين هذين النوعين من المعاني . وينتمي الى هذه العلوم علم الجمال ، ويوجد نوع ثالث من العلوم الثقافية يكون موضوعها أخلاقياً ، ومتجاوزا للأخلاقية في نفس الوقت وذلك مثل علمي التربية و الدين (٦٤) .

و هكذا يوجد الارتباط الوثيق بين العلوم الثقافية – بصفة عامة – وبين تأثيرها في القيم عامة ، والقيم الأخلاقية بشكل خاص ، سواء كان ذلك عن طريق مباشر أو غير مباشر ، كما يعبر مستوى نضج وتطور هذه العلوم عن مستوى القيم ودرجة نضجها .

وتعبر القيم الثقافية عن تغيرها وتطورها من خلال تغيير وتطور العادات والتقاليد والأعراف ، والسلوك الانساني . وهذا التغيير يعكس تغيرا في البنية الاجتماعية والعلاقات الكائنة بين الأبنية والنظم المختلفة . و الثقافة من الصعب دراستها دراسة تجريبية خالصة ، ليس فقط لأن مداها أوسع من أن يعزل أو يعاد انتاجه في العمل ، ولكن لأن وسطاءها أناس لا يمكن معاملتهم " كحيوانات التجارب "

" والناس يمكنهم أن يتعلموا من الخيرة الاجتماعية ولكنهم لا يستطيعون خلق خبرة اجتماعية لكى يتعلموا منها فحسب ، والجزء الأكبر من الثقافة جزء كيفى وغير قابل للقياس ، وهذا يؤدي الى صعوبة الوصول الى قوانين كلية يمكن بها التنبؤء بالمستقبل الثقافي " (٦٥) .

ولكن يمكن أن يطبق المنهج الإمبريقي ومناهج البحث الاجتماعي ، مع ملاحظة عدم تطابقها مع مناهج العلوم الطبيعية .

واذا كانت الثقافة – في مجملها – تعبر عن طور نمو مجتمع معين ، وتتخذ طابعها الأساسي من تطور ونمو العناصر المادية فيه في علاقتها بالإنسان المالك والمبدع للأفكار فإنها – اى الثقافة – تؤثر بدورها في تطوير ، أو إعاقة تطوير العناصر المادية والأفكار ، وا الاجتماعية ، وغيرها ، وذلك نتيجة لديناميكية أو إستاتيكية القيم التى تحملها .

ثانياً : أنواع القيمة

يعتبر اتساع المجال الذي يغطية مصطلح القيمة من الأسباب التي جعلت المفكرين والفلاسفة يسرفون في التقسيمات الثنائية للقيمة ، بين قيمة موجبة وقيمة سالبة ، أو قيمة أصلية وقيمة وسيلية ، أو قيمة فعلية وقيمة كامنة ، أو قيمة مباشرة وقيمة غير مباشرة ، الخ

وسوف تشير الى أهم هذه الأنواع بايجاز ..

(١) القيمة الموجبة والقيمة السالبة

إن من مميزات مصطلح " القيمة " في استعماله كاسم آن بوسعه أن يشمل المجال الكلى لما هو مرغوب ، وماهو غير مرغوب – دون تمييز – فعندما تكون القيمة في الجانب الموجب كالجميل مثلا ، فيمكننا أن نسميها قيمة موجبة Positive Value وعندما تكون في الجانب السالب كالقبيح Ugly مثلا ، فإن بوسعنا أن نسميها قيمة سالبة Negative Value أما اذا كان الشئ محايدا تماما ولا يثير أدنى اهتمام أيا كان ، فاننا يمكن أن نقول أنه بلا قيمة Valueless (٦٦) .

وان كان هناك من يصر على ان القيمة الايجابية فحسب هي التي تعتبر قيمة ، أما ما يقال لها هنا " قيمة سالبة " فليس من وجهه النظر تلك – يمكن اعتباره قيمة ما ، بل هو " عديم القيمة " Disvaluable (٦٧) .

إن ماليس له قيمة – هذا – أو ذا القيمة السالبة (٦٨) يمكن أن يكونا من القيمة الايجابية – على سبيل المثال – " فان الكرغل argayle (وهو تمثال بشع الوجه ، أو نتوء على صورة انسان أوحيوان) على كنيسة من العصر الوسيط ، قد يكون بغيضا كمنظر وحيد ، لكنه سنه كجزء خاص من الاطار الشامل " (٦٩) .

ومن هذا المنطلق أيضا يمكن أن ننظر إلى أشعار " بودلير – في ازهار الشر " فرغم الصور غير المألوفة ، والتي تمثل خروجا عما كان سائدا في الشعر انذاك ، الا أن الصور في الإطار الشامل تشكل لوها من القيمة الجمالية ، هي ما اطلق عليها " الإستاطيقا الفيح " ، وأيضا تعتبر " النذالة ، أو الخسة مكروهة من الناحية الأخلاقية (أو مالية) ، ولكنها قد تكون إيجابية جماليا Aesthetically Positive ، لأن النذل ، أو الخسيس هاليا ما يكون شخصية مثيرة في المسرحية أو الرواية ، (٧٠) ، وذلك لكونه كاملا من الناحية الجمالية ، وهذا ينطبق أيضا على كافة أدوار الشر في الفن .

وهكذا فإن القيم التي تقع على الجـاب الموجب أو السالب ، جميعها ذات أهمية وذلك لأن " القيمة " تشمل المجالين معا دون تحيز .

(٢) القيمة الأصلية ، والقيمة الوسيلية

في هذا التمييز تعتبر القيمة الأصلية Intrinsic Value هي " القيمة في ذاتها ، أو ما يمكن أن يعتبر كغاية As an end ، أو هي تحقق أو اكتمال للقيمة " (٧١) . وعندما قال كانط Kant أن الشئ لا يكون خـرا بدون اهلية لذلك

ماعدا الإرادة الخيرة (إرادة الخير) . فقد أكد على أن هذه الإرادة تمتلك ق يمة أصلية (٧٢) ، وبناء على ذلك – كما يرى " ماكنزي – فإن السعادة يمكن أن تكون قيمة جوهرية فحسب عندما تكون مصحوبة بالإرادة الخيرة . فهذه الإرادة تمثل عنصرا جوهريا أو أصلها . ولكن اذا كانت الإرادة الخيرة قيمة أصلية ، والسعادة قيمة أصلية في ارتباطها بالإرادة الخيرة – على حد قول ماكنزي * – الا يشكل هذا تناقضاً ؟

فكيف تكون هناك قيمة أصلية بمساعدة قيمة أخرى أصلية ؟

إن الإجابة تكمن في رأي " كانط " الذي " لم يعتبر اللذة أو السعادة مما له قيمة أصلية ، بل له قيمة عرضية Externsic Value (٣) ، لأن ارتباط السعادة بالإرادة الخيرة يعتبر خيرا . وهذا يوضح أنه من الممكن أن تكون موضوعات القيمة الأصلية بسيطة لا يمكن تحليلها ، أو معقدة مما يسمح بتحليلها .

أما " سد جويك Sid Gwick " فقد رأى أن اللذة يمكن أن تكون قيمة أصلية ، ويمكن أن تكون هي فحسب الشئ الذي يقوم تقويما فعليا (٧٤) ، بينما رأى " سانتيانا " " .G.Santayna أن القيمة الأصلية تعرف في إطار الحوافز والاهتمامات الانسانية ، ولكن استعماله الفضفاض لكلمة حافز Impulse احيانا واستعماله لها في نطاق ضيق احيانا أخرى – بمعنى عدم تحديد المصطلح تحديدا دقيقا على حد قول " ارفنج سنجر Irving Singer " . (٥) أدى إلى الغموض فقد رأى أن كلمة حافز Impulse لا تعني فقط ما تفيده بصورة عادية ، أي التعبير البيولوجي Biological Expression عن بعض التوترات

الجسدية والعضوية ، بل أيضا كل ما يقع ضمن مستوى الحياة Level of life انها لا تتضمن فقط تلك الأشياء التي تعتبر حافزا للجوع أو الجنس ، بل مختلف الحوافز الاقتصادية والأبوية والسياسية في الحياة الاجتماعية بالإضافة الى حوافز التخيل والتأمل ، كما تعبر عن نفسها في العلم والفن والدين .وقد اعتبر أن القلق واللذة ، والمقت ، والفزع ، والرغبة ، والاشباع والغريزة ، والتفضل حوافز .

وهكذا تكون القيمة الأصلية عند " سانتيانا " في ارتباطها بهذه الحوافز جميعا قد لفها الغموض ، وافتقدت الى تحدد المعيار الأصيل الذي يسبغ عليا فعاليتها وأصالتها . (٧٦)

وقد رأى ماكنزي Mckonie * ان اعتبار اللذة Plaisire أو السعد Hippiness معيارا لتصنيف القيمة الى اصلية ووسيلية ينطوي على مغالطة ، ذلك أننا عندما نقول أن شيئا ما ذا قيمة أصلية ، فإننا لا نعلى ، ببساطة ، أن وجودا ما ، يعتبر سارا به ، أي أن معيارنا يكون هو اللذة أو السعادة ، بل ان ماله قيمة أصلية يمكن تعريفه على أنه الموضوع المباشر لاختيار عقلى " Direct Object of a Rational Choice " (٧٧) .

ولكنه – أي ماكينزي – لم يحدد موضوع الاختيار العقلي هذا وبذلك ترك الباب مفتوحا أمام الاختيارات المتباينة . فقد رأى البعض أن الجمال قيمة أصلية ، بينما جعلها آخرون الحكمة أو الحق ، أو الحرية ، أو النظام ، وربما أشياء أخرى ..

واذا كانت القيمة الأصلية هي القيمة التي تعتبر أصلا وجوهرا للقيمة الوسيلية فإن القيمة الوسيلية ، وهي التي تبدو في غير حاجة الي الاستقلال عن الاهتمام Interest ، أو هي الوسيلة لغاية أخرى . فالخيز وسيلة لاستمرار الحياة وازالة الشعور بالجوع أو إيجاد خبرة سارة عن الطعام ، وقيمته هكذا تعتمد على أننا نقوم Value الحياة أو اللذة أو غايات الألم ، أو المتع (٧٨) .... الخ.

ويعتبر الشئ قيمة وسيلية Instrumental Value اذا كان وسيلة مباشرة أو غير مباشرة للقيمة الأصلية ، كما أن القيم الاستعمالية في الاقتصاد تتعلق بالقيم الوسيلية . (٧٩)

وهناك اعتقاد بأن الأشياء ذات القيمة الأصلية هي فحسب التي يمكن اعتبارها موضوعات جديرة باعجابنا ، ولكن فيما يرى " ليللى ١٠ فإن وجهة النظر هذه تبدو خاطئة . فقد يكون نموذج السلوك الذي يعتبر وسيلة لغاية جديرا بالاحترام والإعجاب ، مثال ذلك شجاعة الجندي في الذود عن وطنه ، هذه الشجاعة تعتبر خيرا أخلاقيا Motally Good وجديرة بإعجابنا ، مع أنها وسيلة لغاية أبعد هي الحرية ، والاستقلال أو حب الوطن .

" ويطلق مصطلح " قيمة مباشرة Immediate Value " ليعني بذلك القيمة التي تكون غاية في ذاتها Value is an End Itself ، أو أن الهدف الذي تخدمه هو ما يعرف بأنه هدف نهائي للوجود .وهذا الهدف Aim (الغرض) هو مانسميه بالهدف الأصلي أو الأولى للذات ، وما نصفه بأنه الوصول الى

أقصى الحيوية والنشاط بالشعور الايجابي عبر إنجاز الاهتمامات المنسجمة مع اللحظة الحاضرة .والقيم المباشرة تتعلق بهذا الاهتمام الأصلي مباشرة ، ويستمتع بها كغاية في ذاتها ، ويعتبر الجمال أحد هذه القيم المباشرة .أما النوع الآخر من القيم فهو القيم غير المباشرة Mediate Value ويمكن أن نطلق عليها مصطلح القيم الوسيطة أو القيم الوسـيلية Instrumental Value وهذا يعني أن هذه القيم تقدم بعض الأهداف أقل من الهدف الأصلي في ذاته ، وان كانت تشتمل على إمكان وجود بعض العناصر التي تسهم في خبرة ما تتعلق بالقيم المباشرة " . (٨٠)

وقد " ربط سانتيانا " بين القيمة المباشرة ، والخبرة المباشرة وجعل الخبرة الجمالية خبرة مباشرة وجميع الخبرات الجمالية يمكن اعتبارها تأملا – Contemplation وكل تأمل هو خيرة مباشرة ، وان كان بعض التأمل ليس بالضرورة خبرة جمالية . (٨١)

وقد رد ' سانتيانا " جميع القيم الى الإدراك المباشر ، أو الي النشاط الحسي أو الحيوي Sensons or Vitt Activity (٨٢) ، ودعا الي تخليص الخير الجمالي Aesthetic Good من الارتباطات العملية وجعل القيمة الإيجابية الخالصة في الحياة تأملا وبالتالي قيما مباشرة .

(٤) القيمة الفعلية والقيمة الكاملة (I Value And Potential Value)

الى جانب التمييزات السابقة ، فانه يوجد تمييز أخر يميز بين القيمة الفعلية Actual Value ، والقيمة الكامنة Potential Valve . وتكون القيمة فعلية أو

واقعا عندما يكون هناك اهتمام ينصب على الموضوع ، ولكن اذا لم يكن هذا الاهتمام موجودا فإننا سنظل نتكلم عن قيمة ممكنة ، بمعنى أنه يجب ايقاظ الاهتمام تحت شروط معينة ، ويكون الموضوع حاصلا على القيمة الممكنة بفضل امكانية وجود ما يقوم . وتوجد في الطبيعة موضوعات كثيرة لديها قيما ممكنة ، مثال ذلك ، تلك التي لا يمكن ملاحظتها بدقة ، ولكنها ذات قيمة ممكنة ، بمعنى أن لديها القدر الكافي لاثارة الاهتمام .فهناك من القيم مالم يتم تقديره بعد ، ولكن الاختيار الملائم لمثل هذه القيمة هو فعاليتها . Its Actualization (٨٣)

وبناء على ما سبق فإن القيمة الفعلية هي قيمة ممكنة ولكن للديها القيم العليا هي القدر الكافي لإثارة الاهتمام .

وهناك بالإضافة إلى ما سبق تقسيمات للقهم أو تمييزات أخرى – منها تقسيم شيلر " (٨٤) للقيم الى قيم دنيا وقيم عليا ، " على اعتار أن التي يكون دوامها أطول ، وتكون قابليتها للانقسام كل عن تلك التي يستند إليها ماعداها ، ويكون ال إشباع الذي تكله تا أسق وتكون بالتالي أدلى نسبية من كل ماعداها " ، وكذلك تفرقته (اى شينر) من القيم الشخصية والقيم الدينية أو قيمة الشخص وقمة اللي www سه وعلى حين أن القيمة الشواية هم كسب جوما عني الخيرات بوصفها موطبوعات قيمة ، وتدور بصفة خاصة حول حيرات الثقافة والحضارة نجد ان القيم الشخصية هي قيم " الشخص " في ذاته وقيم الفضيلة ، وبالتالي فهي أسمى من القيم الشينية أو قيم الأشياء والليم الأخلاقية

هي في جوهرها أخلاقية لأن الشخص البشري هو وحده الذي يوصف بأنه خير أو شرير كما جعل " شيلر " القيم " روحية " وهي هذا الباب كل القيم الجميل و القبيح ، والعادل وغير المال القانونية الحماية والعقلية و وغير والمبتكل و المنحى . وهكذا أمكن تقسيم القيم الى ثنائيات عديدة ، وقد كان ذلك نتيجة ابحث في القيم جزءا من مذهب كل فيلسوف ، ومحاولة كل منهم التقسيم ينسجم مع الإطار العام لمذهبه ن منها الملائم الممتاز (٥) تحليل القيمة بين الذات والموضوع يمكننا تحليل القيمة الى عناصر ثلاثة Three Components ، هي الاهتمام The Interest وموضوع الاهتمام The Object Of Interest والعلاقة بينهما TheRelation Between Them . فمثلا اذا تذوق الإنسان شرابا لذيذا ، فإن الاهتمام يكون منصبا على استمتاع المتذوق ، أما الموضوع فهو " الشراب ، والعلاقة بينهما تمثل نموذج (المنبه – الاستجابة) الذي يربط بين الاهتمام ، والموضوع .

(أ) : القيمة الموضوعية :

كتب جورج إدوارد مور " G.E. Moore في كتابه Principia Ethica فلتتخيل عالما جميلا بشكل فائق للعادة ، تخيل أنه جميل بأكبر ما : تطيع التخيل ، وأن جميع الجبال ، والأنهار ، والبحار ، والشجر ، والنجوم ..الخ تعمل معا ، وتسهم في زيادة الجمال . ثم بعد ذلك تخيل عالما شديد القبح Ugliest World بأقصى ما بوسعك أن تتخيل ، وكل شئ فيه يعمل من أجل تكديس هذا القبح . وأخيرا (تخيل الآن) أنه ليس هناك أي وجود إنساني ، يعيش أو يمكن أن يعيش في كليهما ، أو يستطيع أن يرى أو يستمتع بجمال الأول ، أو يبغض قبح وبشاعة الآخر .. ومع افتراض أنهما بمعزل تام عن تأمل الموجودات الإنسـانية The Contemplation of Human Beings . اليس من اللامعقول أن نرى أن وجود العالم الجميل أفضل من وجود العالم القبيح ؟ (٨٥) .

إن " مور " إذ يؤكد أن العالم الجميل يكون موضوعيا أفضل من العالم القبيح على الرغم من غياب الوجود الإنساني ، بمعنى غياب من " يرى " ، ومن يستمتع " ، بل ومن يتأمل . وان القبول الظاهري لما يقدمه لنا " مور " يعتمد على مغالطة من الصعب تجنبها .فإذا ما طلب منا أن نتخيل الجمال المفرط لعالم ما .ثم القبح المطبق للآخر .. فإننا طالما نتخيل فليس في وسعنا أن نتجاهل ذواتنا أو تلغيها ، وليس في إمكاننا أن نتجنب ميولنا الخاصة " (٨٦) .

اننا عندما نسأل عن القيم التي يمكن أن توجد عندما لايكون هناك من يقومها ، أشبه بالتناقض عندما نسأل ماذا تشبه هذه الموضوعات عندما لا يوجد الشخص الذي ينظر اليها . " على العموم ، بدون وميض الوعى ، لاوجود للظواهر أو القيم " (٨٧) .

وقد توصل " جورج سانتيانا G Santayana الى مثل هذه النتيجة فقد رأى أن " إلغاء الوعى يعنى إلغاء أي إمكانية لوجود القيمة " (٨٨) .

لقد أكد أيضا " سانتيانا " على أن الجمال قيمة ، وأكد بأنه ليس في الوسع أن توجد قيمة ، سواء كانت جمالية أو غير جمالية فى عالم يخلو من المشاعر . فالعالم الذي لا وجود فيه لموجودات تعى أو تشعر ، يجب ألا تكون فيه قيمة ، ذلك أن الاهتمام يكون مفقودا .

وقد أجاب " رالف بارتون بيرى " على سؤال : ماهي القيمة ؟ : " بأن القيمة هي أي موضوع لأي اهتمام " Any Object Of Any Interest * (٨٩) . أي أن القيمة هنا ، لدى بيرى " – يمكن ان تعرف على أنها " العلاقة الخاصة التي توجد إذا اهتم إنسان ما بموضوع ما " (٩٠) . أي اننا – هكذا – ندرك أن القيم " نسبية موضوعية Objectivity Relative ، أي أننا نقول : انها " خواص لموضوعات Proprties of Objects تنتسب الي واقفنا التفضيلية Relative to Our Preferential Artitudes – والعدد الأكبر من الخواص التي تنعت بها الموضوعات هي من هذه الخاصية العلاقية (من خاصية الاتصال) مثال ذلك عندما نقول بأن الطعام شهي ، أو الكرسى مريح (٩١) .

ولكن ألا يأخذنا تعريف " بيرى " للقيمة بأنها " أي موضوع لأي اهتمام إلى القول بأن هذا التعميم يحتوى على خلل ، اذ أنه يربط بلا تمييز كل الموضوعات بكل الاهتمامات ، بمعنى أن " أفقر " انواع التصوير Rover Paintings في العالم – على سبيل المثال – يمتلك قيمة " (٩٢) وتلك إذا صادف أن مال إليه بعض الناس .

إن الاعتماد على الاهتمام " وحده يجعلنا تقع في النسبية به – فقد توافق " رالف بارتون بيرى ، على أن القيمة مهما كسانت هي أو لا عقلية توجد عندما يكون هناك اهتمام ينصب على موضوع ما ، وله قد يكون الاهتمام خاطئا ، أو فاسداء والموضوع أبعد ما يكون من الا بار القويم ، " فهذاك تباين شاسع بين ما هو قيم ، وبين ما هو جدير بالتقويم ، وبين عدم التفكير بالقيمة ، وبين التفكير الجدي في القيمة واذا كانت ، التمييزات غير مدركه ، فإن نظرية الاهتمام interon Theory تضع اعتبارا ضئيلا جدا لاستحقاق أو عدم استحقاق الموضوعات التقويم (١٣) فالاهتمام وحده لا يفسر القيمة تفسيراً دقيقاً .

لقد كتب " و . د . روس ، W.D Rons " في الحق والخير : Rages and Good من وجهة النظر التي أجد نفسي مندفعا تجاهها في محاولة لتجنب الصعوبات التي تكتنف وجهة النظر الموضوعية الخالصة A Arcy Objective View ووجهة النظر الذاتية الخالصة A Parly Sobjective View في تلك التي تطابق الجمال مع القدرة على تقديم (أو انتاج) نوع معين من الخبرة A Certain Sort of Experience التي تألفنا معها تحت أسماء "

المتعة الجمالية Aestheic Enjoymen أو الإثارة الجمالية Aesthetic Thall (٩٤) .

لقد كان " روس " يرى أن المطابقة بين الجمال والقوة الكامنة في الموضوعات التي تنتج نوعا محددا من الخبرة الجمالية في الذهن ، هي الطريق إلى الذود عن موضوعية القيمة الجمالية في مواجهة النسبية المزعجة ، ولكن الأمر الذي لم يلتفت إليه روس " هو أن بعض الموضوعات تمتلك هذه القوة بدرجة أكبر من موضوعات أخرى كما أن بعض الأشخاص يملكون قدرة أفضل على إدراك هذه القوة ، والاستجابة لها أكثر من غيرهم .

هذا وقد نُوقشت المشكلة بواسطة " جون ديوى " وكان الحل فى لها أكثر من غيرهم . التوافق المتبادل بين الذات والموضوع (٩٥) .

(ب) القيمة ذاتية

لقد طابق هؤلاء الذين أكدوا على أن القيمة ذاتية ، بينها (أي القيمة) وبين نوع من الشعور ، كالإشباع Satisfaction ، أو حالة سيكولوجية أخرى (٩٦) وعلى سبيل المثال ، أنكر " ديفيد هيوم David Hume أن الجمال خاصية موضوعية Objective Quality ووصفه بأنه رد فعلى عقلى Mental Reaction .

فقد كتب " هيوم " في : بحث فيما يتعلق بمبادي الأخلاق An Enquiry : Concerning the Principles of Morals . are :

" لقد شرح " إقليدس Euclid جميع خواص الدائرة ، ولكنه لم يقدم ولا حتى كلمة واحدة عن جمالها . والسبب جلى وواضح ؛ فالجمال ليس خاصية من خواص الدائرة . لأنه فحسب التأثير الذي يحدثه الشكل في أن الذهن .. ومن العبث أن تبحث عن الجمال في الدائرة ، أو تتوق إليه سواء عن طريق إحساسك ، أو بواسطة العقل الرياضي ضمن جميع خواص الشكل . وحتى يأتي المشاهد فإن الموجود هناك فحسب لا شئ ماعدا الشكل بمثل هذه الأبعاد الخاصة وتلك الخواص ، ومن عواطف المشاهد وحدها ، تنشأ روعته وجماله . (٩٧)

ان " هيوم " يوضح هنا – أن الدائرة في ذاتها هي ذلك الشكل بأبعاده وخواصه المدينة والتي وصفها إقليدس " وصفا محـــايدا . وهي بوصفها هذا لا يمكن أن تنبئ عن قيمة سواء كانت جمالية أو غير جمالية ، ولكن ما إن يراها المشاهد حتى يخلع عليها هذه القيمة ، فيري أنها أتم الأشكال جميعا وأكملها ، وبالتالي أجملها ، كما ذهب الى ذلك اليونانيون وغيرهم فيما بعد.

أي أن " هيوم " من خلال هذا النص يريد أن يقول بأن القيمة الجمالية قيمة ذاتية بنيت على الشعور أو الرغبة ، وليست موجودة في الموضوع ، وقد تابع موقف " هيوم " العديد من الفلاسفة والمفكرين فمنهم من رأى أن " القيمة قد استنفذت بالكامل في الشعور باللذة Focling of The Pleasure (٩٨) . وأنها تنطلق من شعور ذاتي محض . وقد أنكر الوضعيون الجدد – Neo Positivists الوجود الحقيقي للقيم في الموضوعات وأكدوا على أن " الخير " و " الجميل " ليسا سوى التعبير عن موقفنا تجاه موضوع ما (٩٩) كما أشار د

. هـ . باركر Dewitt H. Parker الى أن القيم تتعلق كلية بالعالم الداخلي Inner world بعالم العقل The world of mind (١٠٠) .

وانطلاقاً من هذا الموقف الذاتي ، أكد أصحاب هذا الاتجاه على أن القيمة تتخذ إسمها كقيمة " من تقويم الإنسان لها ، والموضوع يعتبر جميلا عندما تكون خبرته مشروطة بهذا التقويم الخاص ، والأشياء تكون عديمة القيمة لأنه لا يميل إليها Dislike أو يرغب فيها . (١٠١) .

ولعل هذا الموقف يعيدنا من الناحية التاريخية ، الي موقف السوفسطائيين ونقدهم لمعايير التقويم المسلم بها والشائعة بين الناس فيما يتعلق بالحياة الاجتماعية والنشاط الفردي (١٠٢) ، حينما جعلوا الإنسان مقياس الأشياء جميعاً .

ويعتبر التأكيد على الجانب الذاتي أمرا شائعا بين المثاليين الذاتيين . واذا اعتبرنا أن القيمة ترادف الخير الأقصي " أو الشر الأقصى ، فإن هذا التفسير يكون صحيحا – على حد تعبير " رادر Raker و جزيوب Jessup (١٠٣) فربما لم يكن يوجد شئ يعتبر خيرا أقصى عدا المتعة Eajoyment أو الاشباع العقلي Mental Satisfaction وان الموضوع قد يكون خيرا فحسب كمثير أو وسيلة لهذه الخواص الباطنية للخبرة . ولكن هل " القيمة " ليست مرادفة تماما للخير أو الشر فحسب – وقد لاحظنا ذلك في الاستعمالات الفلسفية للمصطلح – فالمصطلح يشمل اهتماما بموضوع ما An Interest in in Object الى جانب وجود موضوع للاهتمام An Object Of An Interest معاً .

وهكذا فإن التأكيد على الجانب الذاتي فحسب يشكل تعبيرا ناقصا عن القيمة والتأكيد الاستثنائي على الجانب الموضوعي يعتبر زيفا وتضليلا أيضا ، ذلك أن الاهتمامات ليست عمياء ، أو عديمة الاتجاه ، أو منعزلة . إنها تجد التعبير عنها في موضوعات ، وتتجه نحو الموضوعات ، ويمكن تصويرها في إشارات موضوعية . وفي نفس الوقت توجد الذات التي ينصب منها الاهتمام على الموضوع . فعندما أقول " أنا استمتع بهذا النبيذ " ، أو أقدر هذه الموسيقى " أو أحب هذا الشخص " ، أو معجب بهذا الفعل ، فإن الاهتمام هذا يشير الى موضوع هو (النبيذ – الموس يقى – الشخص – الفعل) ، وبدون هذه الموضوعات تكون الاهتمامات تجريدات غير واقعية Unreal Abstraction (١٠) والحديث عنها يكون أشبه بالحديث عن أشباح منعزلة ، وهذا يقودنا إلى الالتباس والغموض ، بل الى اللاجدوى .

وهذه الاهتمامات أيضا هي اهتمامات " لذوات " تنصب على موضوع معين ، فالاستمتاع هنا هو استمتاعى أنا ، والاعجاب هو إعجالي أنا ..... الخ .

أى أن الجانبين الذاتي والموضوعي يجب أن يتوافرا في استعمال

(حـ) القيمة علاقة

كتب " صموئيل الكسندر Samed Alexander : في المكان والزمان والألوهية Space and Time and Deity :

" في كل قيمة يوجد جانبان : الذات التي تقوم بعملية التقويم ، وموضوع القيمة Object of Value والقيمة الكامنة في العلاقة بينها . والموضوع يحصل على القيمة كامتلاك بواسطة الذات ، والذات تحصل على القيمة كامتلاك بواسطة الموضوع . والارتباط بين الذات والشئ الذي يقوم يعتبر واقعا حيا يتضمنه انتساب القيمة الى العناصر الأخرى . والقيمة كخاصية تتعلق بهذا المركب : وتمثل الاشياء القيمة ، والحقائق ، والخيرات الأخلاقية Moral Goods وأعمال الجمال Works of Beauty مشتقات منها ونفى الشئ يفهم من الذات التي تقوم ، وهي أيضا تكون " قيمة " baladle أو ذات قيمة – كالفكر الحقيقي والإنسان الخير Good Man والإنســا ذي الحساسية الجمالية Man of Aesthetic Sensibility (١٠٥) .

ففي موقف القيمة توجد العناصر ، الذاتية والموضوعية في علاقة متشابكة ، ذلك أن القيمة الذاتية تعتبر تعبيرا عن الذات ، وخاصية لها . والقيمة الموضوعية خاصية للموضوعات . ولكن لا تعتبر إحداهما قيمة بمعزل عن الأخرى ، ذلك أن العلاقة المعقدة بين الذات والموضوع هي الممثل الحقيقي للقيمة الكاملة المكونة من (ذات – موضوع ، علاقة) فكلا الاتجاهين الموضوعي والا تكمن فيهما معا مع الكاملة ، و الذاتي بمثل حقائق جزئية ، أما الحقيقة ع ارتباطهما بعلاقة .

والجدير بالذكر أن العلاقة بين الذات والموضوع علاقة تفاعلية ، يعتمد أحدهما فيها على الآخر ، والتغيير في أحدهما يسبب تغيراً في الآخر .

واذا عدنا الى تعريف المصطلح " قيم باختصار شديد – عبارة عن إسم Noun مشتق من الفعل يقوم To Value ، و هو يعني تقدير شئ ما ، أو ادراك أنه " ثمين " وأنه " أثير " Precious ، وسالبه يعني عدم التقدير Disprize ، ونحن لا نستطيع أن نستعمل الفعل استعمالا صحيحا إذا لم يكن هناك الموقفان التقويميان (أو الفعلان التقويميان) الذاتي والموضوعي – ومن غير الملائم أن نستخدم يقوم " To Value في هذا المعنى العلاقي (أي المعنى الذي يربط بين الموضوع والذات) ، وفي نفس الوقت تستخدم الإسم قيمة " Value " في معنى لا علاقي (أي في معنى لا يربط بين الذات والموضوع) . (١٠٦) هذا الارتباك بوسعنا تجنبه لو أننا عرفنا اسم " القيمة " Value كخاصية لمركب علائقي Relational Complex (اي المركب من الذات ، والموضوع والعلاقة بينهما) .

لقد اتضح مما سبق ومن خلال مناقشتنا للآراء التي رأت القيمة موضوعية ولا علاقة لها بالذات التي تقوم بفعل التقويم (كمثال لذلك جورج . ا . مور) ، و الرأي الذي يرى أن القيمة تعتمد على المشاعر الذاتية فحسب ، وبدونها لا تكون هناك قيمة (كمثال لذلك هيوم) ؛ واخيرا الرأي الذي يجعل القيمة تكمن في هذا المركب من (الذات و الموضوع ، والعلاقة بينهما) . ومما هو جدير بالذكر أن هذا الموقت ، هو الموقف الذي نراه أقرب إلى الدقة . وذلك لأنه لا بد من وجود ما نقومه (موضوع التقويم) ، وكذلك لابد من وجود الذات التي

تقوم ، ونظرا لأن أي تغير في أحدهما يؤثر بالضرورة في الآخر ، فإننا عهما معا دون إعطاء أحدهما أهمية أكبر من الأخر ونظراً لأن العلاقة بين الموضوع والذات – رغم وجود نفس الموضوع ونفس الذات – قد تتباين من حين لآخر أو من مكان لآخر وفقا لدرجة وضوح ، أو غموض الموضوع وخواصه المميزة ، وتبعا لحالات الذات النفسية والعقلية ، مما يؤثر على الانتماء والتركيز ودرجة الاهتمام ، لذا فإننا نرى أن العلاقة بين الذات والموضوع ، كعلاقة تخضع لجملة أسباب وشروط من الأهمية بحيث أننا لا نستطيع إغفالها وتجاهلها .

(٦) النظريات المعيارية وغير المعيارية للقيمة

لقد ناقش الفلاسفة منذ " أفلاطون " الى وقتنا الحاضر مختلف المشكلات التي تتعلق بالخير والإلزام والفضيلة والجمال والحق (١٠٧) . وكان اتساع نطاق ومجالات القيمة مؤديا الى معان عدة لمصطلحى القيم والتقويم وفقا لتعدد الاتجاهات والمذاهب الفلسفية أو الاجتماعية التي تناولت موضوع القيمة . ومن ثم اتسع نطاق النظريات التي تتعلق بأحكام القيمة والتقويم ، وتشعبت اتجاهاتها ، وان كان يمكن تقسيمها إلى مجموعتين كبيرتين من النظريات :

(١) النظريات المعيارية Normative Theories

(٢) النظريات غير المعيارية (ما بعد المعيارية) Metin – Normine Theories

وذلك على أساس أن إحدى المجموعتين تؤكد وجود ميران (١٠٨) للقيمة أو التقويم تحدد وفقا له ما يجب أن يكون ، أما المجموعة الأخرى فلا ترى ضرورة لوجود هذا المعيار أو ذاك بل تؤكد على الخواص أو الصفات المتعلقة بموضوع التقويم .

(أ) النظريات المعيارية للقيمة (١٠٩)

وهذه النظريات ترى أن أحكام القيمة Value Judgments أو التقويمات Valuations تخبرنا عما هو خير What is good . أو وعما هو حاصل على القيمة ، أو تخبرنا عما هو شر وما الى ذلك .

ويمكن تقسيم هذه النظريات المعيارية الى نوعين ينطلقان من تصورين متباينين لمعنى القيمة . والنوع الأول ينطلق من فهم الق بالمعنى الواسع للمصطلح ، والنوع الثاني ينطلق من فهمهما بالمعنى الضيق للمصطلح .

أ- النوع الاول

وهو يفهم القيمة Value بالمعنى الواسع للمصطلح ، ويرى أصحاب هذا الاتجاه ان النظرية المعيارية للقيمة يجب أن تعرض لنا – على الأقل وفي الخطوط العريضة بصفة عامة – ماهو خير ، وماهو شر ، وما هو مفضل ، والأفضل ، والصائب والخاطئ ، وما هو ملزم ، وماهو فاضل ، وما هو جميل .. بمعنى ان تضع المعايير التي تحدد ماهو " قيم " أو ماله قيمة " بشكل عام ، وليس ماهو خير فحسب .

ب – النوع الثاني

وهو الذي تنصب فيه النظريات المعيارية على مسألة ماهو خير في ذاته What is Good In Itself أو ماهو خير كغاية What Is Good As An End أو ماهو حاصل على القيمة الأصلية What Has Intrinic Value وهذا هو المدخل لنظريات القيم الذي هاجمه " چون ديوى " (١١٠) بشدة .

وأصحاب هذه النظريات لا يسألون عما هو خير ، أو عما تكونه القيمة الأصلية ، بل عما يكونه الخير What Good Is أو عما هو حاصل على القيمة كغاية خاصة به What Has Value For Its Own Sake ، وما يتخذ كغاية لمساعينا أو كمعيار لتقدير أصيل أو جوهرى . (١١١)

وقد تباينت النظريات بناء على تباين المعايير التي اتخذت كغاية في ذاتها أو كخير في ذاته . وقد رأت بعض النظريات أن معيار القيمة يكمن في اللذة Pleasure أو المتعة Enjoyment . فلكي نقول وفقا لهذه النظريات – إن شيئا ما يعتبر " ذا قيمة " أو خيرا ، وهو أن نقول إنه موضوع لذة أو متعة بمعنى ان الخبرة التي لا تكون فلا تمثل خيرا أساسيا ، ولا تعتبر ذات قيمة ، بل سلبا للقيم وللمعيار . (١١٢) وبمعنى آخر ، فإن الخبرات التي تعتبر خيرا أصليا ارة ، أو خيرا في ذاتها تعتبر سارة ، وباعثة للذة ، والخبرات التي لاتكون خيرا أصليا أو خيرا في ذاتها ، تعتبر على العكس من ذلك ، فلا تعتبر معيارا ، بل هي سلب للمعيار .

وقد صاغ نظريات اللذة مفكرون مثل " ابيور " Epicurus ، أرستيس Aristippus في الفكر اليوناني . وقد ذهبا الى أن اللذة هي صوت الطبيعة ، كما ان الناس ينشدون اللذة بدافع غريزي ، وان اللذة القصوى أو الخير الأعظم بالنسبة بالنسبة للأفعال الإنسانية كافة (١١٣) . وقد وافق أرسطو فلاسفة اللذة على أن البشر قاطبة يطلبون اللذة ، ويتجنبون الألم . فثمة تكافؤ بين " اللذة : والحياة " (١١٤) .

وهناك أيضاً ما يشبه نظريات اللذة Hedonistic Theories حيث تكون الغاية أو الخير ليس فيما يقال عنه باللذة ، ولكن شيئا أخر كثير الشبه بها ، ألا وهو السعادة Happiness ، أو الإشباع Satisfacton أو الشعور بالرضا أو الإشباع Felt Satisfaction كما يرى ذلك لويس (١١٥) ، ويمثل اتجاه السعادة كثيرون منهم " أرسطو " Aristotle والرواقيون Stoics . فقد رأى الرواقيون أن الفضيلة وثيقة الصلة بالسعادة ، بينما ترتبط الرئيلة بالشقاء ، ورأوا أن الخير الأقصى هو السعادة ، والتي تتمثل في التحكم في رغبات النفس ، وفي الحكمة (١١٦) ..وقد تباينت الأراء في تعريف السعادة ، " بين جعل اللذة شرطا أساسيا للسعادة (كما هو الأمر لدى أرسطو) أو أنها في اتباع الفضيلة ، أو بأنها في الإستمتاع بالشهوات واللذات الحسية (المدرسة القورينيائية) . (١١٧)

وقد وجدت أيضا نظريات مضادة لنظرية اللذة .وهي على نوعين :

(أ) يرى البعض أن هناك – في نهاية المطاف – شيئا واحدا هو الخير أو الفعل الخير ، ولكن ينكرون بانه هو اللذة ، او أي نوع من المشاعر . فقد رأه أوغسطين Augustine وتوما الأكويني Thomas Aquinas فى المشاركة الوجدانية الله . ورآه اسبينوزا Spinoza من خلال المعرفة Knowledge اما ف . هـ . برادلى . F.H. Bradley فقد رأه في الإدراك الذاتي Self Realization . وقال نيتشه Nietzsche بانه القوة Power –

(ب) أما البعض الآخر فقد رأى أن هناك عددا من الأشياء يمكن اعتبارها خيرا ، أو فعلا خيرا في ذاتها . وقد جعلوا ضمن هذه الأشياء اللذة Pleasure والجمال Beauty والمعر فة Knowledge والحق Tluth والفضيلة ، والخبرة Experience ، و العدالة Justice والحرية Freedom الخ . ويمكن ان نسمي هذا الاتجاء (بالاتجاه التعددي) ، إذ أنه يتخذ شيئين أو أكثر .

لتمثيل الخير الأقصى ، ويمثل هذا الاتجاه – على سبيل المثال – ج – مور G. Moor، و هارتمان Hartmann ، ورالف بارتون بسيرى R & Pery و غيرهم .

وهكذا تتباين المعايير التي تتخذ في هذه النظريات للحكم على السلوك .

والجدير بالذكر ان أصحاب هذه النظريات يرون أن القيم في حد ذاتها تمثل " معايير للتفضيل والاختيار " (١١٨) وأن التقويم يعني فرض معايير معينة – (١١٩) .

ولكن مع ذلك – فإننا نجد على الجانب الآخر أن عدا من الفلاسفة التحليليين Analytical Philosphers (١٢٠) قد أكدوا مؤخرا على ان النظريات المعيارية ، بالرغم من أهميتها ، إلا أنه ليس لها مكان لا في صحيح الفلسفة أو الفلسفة بالمعنى الضيق للكلمة ، حيث يجب على النظريات المعيارية أن تتحدد بالمسائل غير المعيارية .

(ب) النظريات غير المعيارية Meta Normative Theoris

في النظريات غير المعيارية يتم تحليل القيمة ، والتقويم ، والخيره لهى ولا تستعمل أحكام القيمة Value Judgments في تحليلها ، ولا تخبرنا بما هو خير What is Good أو عما هو حاصل على القيمة What Has Value ، تقوم بالتحليل وحسب ، وتعرف ما تكونه الخيرية ، وما تكونه القيمة Define What Goodness And Value Are، ومعنى أن نقول أن شيئا ما خير ارحاصل على القيمة . (١٢١) .

أي أن هذه النظريات تنبذ · المعيار Norme ، وتستعمل التحليل باحثة في طبيعة الخير والفاضل وعن معانيهما.

وقد يكون مجال القيمة شاملا متسعا . وقد يكون محدودا ، ولكن في كل الأحوال تتعلق الأسئلة المطروحة بواسطة النظريات غير المعيارية بطبيعة القيمة والسؤال عما تكونه الخيرية أو القيمة What Is Goodness Or Value وما معنى او استعمال " الخير " ؟ ماهو التقويم ؟ وماذا نفعل أو تقول عندما نقوم بحكم قيمة ؟

ويندرج تحت هذه الأسئلة السؤال عما تكونه القيمة الأخلاقية وما يكونه التقويم الأخلاقي ، وكيف تميز عن القيمة اللا أخلاقية ، والتقويم اللا أخلاقي ؟

ثم هناك مجموعة من الأسئلة تدور حول صحة أحكام القيمة والنظريات المعيارية هل يمكن لهذه النظريات أن تبرر ، أو تقدم أساساً ليقين ما ، أو نوعا من التحقيق العقلي أو العلمي ؟

وهل في وسعها ان تظهر امكانية موضوعية بأي سبيل ؟

واذا كان هذا ممكنا ، فكيف ؟ وماهو منطق العقل في هذه الموضوعات ؟

وماهو منطق التبرير الأخلاقي اذا كان هناك ما يقدم هذا التبرير ؟ (١٢٢) .

كل هذه الأسئلة تطرحها النظريات " غير المعيارية " سواء من أجل الوصول إلى طبيعة الخير ، أو القيمة بشكل عام ، أو القيمة الأخلاقية بشكل خاص ..الخ او من اجل محاصرة النظريات المعيارية ، والتشكيك في جدواها ، وهذا يجعلنا نطرح – من جهة أخرى – أسئلة تتعلق بطبيعة النظريات غير المعيارية ؟ وهل يمكننا تعريفها ؟ .. وغير ذلك أسئلة

وللإجابة على هذه التساؤلات فإننا نجد أن المفكرين والفلاسفة الذين يمثلون الاتجاه غير المعياري يرون أن مصطلحا مثل Value يشير إلى خواص الموضوع لأننا في أحكام القيمة ، ومن وجهة النظر هذه ، خواصا معينة الى الموضوعات التي تحكم عليها ، بالرغم من ألنا نتخذ موقفا سلبيا أو إيجابيا

تجاهها ، فأحكام القيمة تعد احكاما وصفية أو واقعية Value Judgments Are Descriptive Or Factual Judgments بمعنى الـ تنسب خواصا حقيقية أو زائفة للأشياء ، وقد اضاف الطبيعيون إلى ذلك أن الخاصية المتضمنة في هذه الأحكام خاصية طبيعية ، أو إمبريقية . كما رأها البعض خاصية عقلية مثل ، " رالف بارتون بيرى " بينما رأها البعض الآخر تمثل خاصية القدرة على إثارة انفعال ما . (١٢٣) .

وهكذا نجد أن النظريات غير المعيارية ، تؤكد على أن القيمة لا تشير الى حكم معياري . بل تشير الى سمات وخواص وكيفيات محددة موجودة في موضوع الوصف او التقرير .أي أننا إزاء موقف تحليلى ، وليس موقفا معياريا . ويتساوى في ذلك كون الخاصية خاصية عقلية أو طبيعية .. أو غير ذلك .

والجدير بالذكر أن الخاصية يمكن – أيضا ان تكون خاصية ميتافيزيقية تستعصي على الملاحظة بواسطة الخبرة العادية أو غيرها ، ولا تقدم موضوعاً لعلم امبريقي ، ويمثل هذا الاتجاء اتباع الأفلاطونية " الجدد " واتباع المثالية الهيجيلية ، كما أن هذه الخاصية توجد لدى اللاهوتيين في تعبير " إرادة الله " .

أما اللاطبيعيون Nonnaturalists فيرون أن القيمة خاصية لوجود غير واقعي وأنها تتعلق بموضوعات لا تعتمد على ما نرغب فيه ، أو تستمتع به ، أو نقومه ، ومستقلة عن ذواتنا . وقد الاتجاء " هارتمان * Martsmusn ، و * سد جويك " . (١٢٤)

أما الفرد . ج . اير ، فقد رأى ان " أحكام القيمة ، وشتى الأحكام الأخرى التي تنص على واجبات ، لا يمكن ان تعد احكاما صادقة أو كاذبة ، بل هي مجرد أقوال تعبر عن مشاعر المتكلم ، بمعنى أن احكام القيمة تمثل تجسيدا ، أو تعبيرا كليا أو أوليا عن موقف أو انفعال أو رغبة ، أو وسائل لتكريس ردود أفعال أخرى (١٢٥) .

وقد ربط علماء الاجتماع بين القيمة والمجتمع ، فقد رأى · أميل دوركايم " ان المجتمع هو المشرع الوحيد للقيم ، وهو مصدرها . كما أن القيم تعبر عن المجتمع وأن احكام القيمة أحكام موضوعية وليست معيارية . وجاءت دراسته للقيم الأخلاقية والدينية والاقتصادية على أنها ظواهر اجتماعية ، فهي ليست إلا نظما من القيم التي تدرس في علم الإجتماع كنظم طبيعية على نحو ما يقوم به العالم الطبيعي في معالجته للظواهر الطبيعية . (١٢٦) .

وإذا كان حكم القيمة ينسب القيمة للأشياء والأحداث ، والأعراف ، والخبرات ، وغيرها ، سواء كان ذلك بشكل أساسي أو بصورة ثانوية . فكيف تبرر هذه النظريات أحكام القيمة ؟ (١٢٧)

للإجابة على هذا السؤال نرى أن الآراء تتعدد وفقا لتعدد الاتجاهات ، فيشير الطبيعيون الى ان تأكيد قيمة شئ ما ، يكون عن طريق " البرهان الإمبريقي " . وقد رأى الاجتماعيون (دور كام على سبيل المثال) – أن القيمة تتحقق في علاقتها بـالمجتمع الذي يشكل مصدرها الرئيسي ، في حين قال " اللاهوتيون " بأن تبرير أحكام القيمة يتم بواسطة الإلهام الإلهي او الوحي الإلهي ، وكذلك

رأى الميتافيزيقيون أنه يكون بالتعريف والبرهان الميتافيزيقي ، بينما رأى الوجوديون أن احكام القيمة غير عقلية ، ولا يمكن تبريرها ، ويمثل هذا الاتجاه " سارتر Sartre " الذي رأى ان الأخلاق تخجل من نفسها ، ولا تستطيع ان تسمى الأشياء بأسمائها فقد ألقت الظالمة على كل اهدافها حتى تتخلص من القلق . (١٢٨)

لقد تباينت آراء أصحاب النظريات غير المعيارية ، وتشعبت ، حتى وصلت الى التعارض في أحيان كثيرة ، نظرا لتعارض المنطلقات التي بدأت منها . ولم يعد بين هذه النظريات من علاقة سوى أنها ترفض ان تكون القيم " معيارية " .

ولقد اتضح من مناقشتنا للخطوط العريضة لمجموعتي النظريات المعيارية وغير المعيارية فيما يتعلق بالقيمة والتقويم أن المجموعة الأولى تتشعب ، وتتباين وكل ما يجمعها هو انها قد وضعت معياراً ما ، قد يكون اللذة ، أو السعادة ، أو مجموعة معايير معا ..الخ وأن المجموعة الثانية – أيضا – لا يجمع بينها غير رفض وضع معيار معين ويمكن أن تتداخل النظريات فيما عدا ذلك ..

وقد لاحظنا ان هذه النظريات ، سواء المعيارية ، أو غير المعيارية ، إنما تنطلق من تعريفات محددة لمصطلحات القيمة ، والتقويم – وأحكامها وتؤسس على هذا التعريف رأيا في القيمة والتقويم .. الخ . وقد كان الفلاسفة في نظرياتهم يحاولون جعل نظرياتهم تنسجم مع مذاهبهم او أنساقهم الفلسفية . ومن هنا ، فيما يبدو ، كان التباين بين أصحاب المجموعة الواحدة من النظريات .

وقد لاحظنا أيضا في الإجمال الذي طرحناه لهذه النظريات أن منطلقاتها – الى جانب محاولة جعلها منسجمة مع مذهب كل فيلسوف ذي نظرية على حدة – كانت منطلقات تتحاشي الطبيعة التاريخية والاجتماعية للقيم . وقد يكون هذا التحاشي سببا في تلك التشعبات والتفريعات التي تسود النظريات الفلسفية .

ونحن من جانبنا نرى انه من الضروري أن توضع الشروط التاريخية والاجتماعية في الاعتبار عند دراسة القيم على أساس أن القيم – بصفة عامة – هي نتيجة لظروف اجتماعية محددة ، وعلاقات النسق القيمي تتحدد في علاقتها بالنظام الاجتماعي وهي أيضا نتيجة لظروف تاريخية معينة ، تحدد طور العلاقات الاجتماعية ، ثم إن هذه القيم في علاقة جدلية مع البناء الاجتماعي .

وبناء على ذلك فإن القيم ليست خلوا من كل معيار ، بل هي معيارية ، ولكن المعيار ليس معياراً إستاتيكياً ، بل هو معيار يشرطه الظرف الاجتماعي ، والظرف التاريخي ، وأن القيمة أيضا تتكون من المركب المكون من (الذات – الموضوع ، والعلاقة) ، وهي لذلك ليست وصفية ، لأن الذات تلعب دوراً هاما فيها ، ولكنها لا تلعب فيها الدور الوحيد ، بل هناك الدور المنوط بالشروط الموضوعية (خارج الإنسان) وهو دور هام أيضاً .

تعقيب

لقد اتضح لنا مما سبق ان القيمة ، بدها بتعريف المصطلح ، انتهاء الى النظريات الفلسفية المعيارية والتقريرية (هير المعيارية) التي تدرس القيمة والتقويم ، قد تضاربت وتباينت الآراء حولها الى حد بعيد ونحن نرى أن هذا ، رغم كونه يشكل عائقا في بعض الأحيان نحو فهم صحيح لمشكلة القيمة ، إلا أنه يثرى هذا البحث خاصة إذا استطعنا تخليصه من بعض الآراء والأفكار المسرفة في التصنيف ، أو الممعنة في التجريد والتعميم .

وإذا كانت الآراء قد تباينت حول دراسة القيمة ، فإننا نحدد وجهة نظرنا في النقاط التالية :

أولاً : إذا كانت آراؤنا في مسألة التقويم تتعلق بموضوع معين هو موضوع التقويم ونحن الذين نقدم هذا الرأي فإن المسألة تتحدد وفق قطبين رئيسين هما " الموضوع " والذات " ، وأن الرأي يتوقف على كلا القطبين وبالتالي فإننا لسنا مع قصر التقويم على الموضوع وخواصه وعناصره ، أو على الذات ، وما تسبغه من قيمة على الموضوع . بل إن العلاقة بين الذات والموضوع هي التي تحدد الموقف ، وبالتالي فإننا نرى أن القيمة (علائقية) ، أي تنصب على العلاقة .

ثانياً : إذا كانت القيمة علائقية (تنصب على العلاقة بين الذات والموضوع) أي تعتمد على خواص الموضوع وسماته الكيفية ، وفي نفس الوقت تتعلق بانعكاس هذه الخواص في شعور الملاحظ ، ولذا فانه ليس في وسعنا القول بأن

القيمة تقريرية أو (موضوعية) بمعنى مطلق ، لأن هذا لا يكون إلا إذا كانت أحكامنا تنصب على الموضوع فحسب ، ولكن لما كانت أحكامنا تدخل فيها الذات وشعورها ، فإننا نرى أنها نسبية بمعنى أن هناك أحكاما متباينة تبعا لتباين العلاقة بين الذات والموضوع أي انها معيارية ؛ لأنها أحكام تأتي نتيجة لتقويم ، أو وفقا لمعيار معين يختلف من علاقة الى علاقة (ومن ذات الى ذات) ، وبالتالي فنحن لا نوافق على القول بتقريرية القيم وموضوعيتها المطلقة .

ثالثاً : اضافة الى ما سبق فإننا نرى أن التقويم ليس عملية مجردة ، ولا هو يخضع للذات خضوعاً عشوائيا تنتج عنه فوضى في المعايير بل لابد فيه أن يرتبط التقويم بالمجتمع ، لأن العلاقات الاجتماعية ، والبيئة والتربية وغيرها ، تؤثر في معاييرنا التقويمية ، وتعاملنا مع المجتمع هنا ليس بالمعنى " الدوركايمي – أي ككائن متعال– بل كمجموعة من الارتباطات والنسق والعلاقات المتغيرة . وذلك وفقا للحظة التاريخية والظروف التي تحدد طبيعة العلاقات الاجتماعية ، وبالتالي طبيعة نظرتنا للقيم .

وبناءً على ما سبق فإن التقويم يعني إصدار حكم معياري ، وهذا الحكم لا يضع معيارا واحدا ثابتاً وسرمدياً (كاللذة ، أو المنفعة أو السعادة .. الخ) بل هو معيار متغير لأن القيم انعكاس لأوضاع اجتماعية واقتصادية معينة ، في تفاعلها مع الذات الإنسانية ، وعلاقة هذا كله بالموضوع القيمي ، أو موضوع التقويم .

وهكذا ، ومع الصعوبات التي تكتنف دراسة القيمة والتقويم ، يتضح لنا أهمية هذه المسائل ، كمدخل لدراسة القيمة الجمالية والقيمة الأخلاقية ، وأحكامهما وهذا هو ما يشكل القسم التالي من البحث .

هوامش الفصل الأول

١ -صليبا ، جميل : المعجم الفلسفي حـا دار الكتاب اللبناني - بيروت - ١٩٧٩– ص ٢١٢

2- Lillie William An Introduction to Ethics-University Paperbacks, 3rd ed London 1967p. 207

3-Smith, Wendell Bristow Ethics and Aesthetics. An Essay in Value Philosophy and Phen-omenological Research Vol. VI No. 1 September 1945-University of Buffallo. New York. 1945. p. 57,

4- Frankana WK Value and Valuation, in Enc of Philosophy Vol (7) Macmillan Company Press - New York, p. p. 229.

5- Ibid p 229

6-Lewis C. An Analysis Of Knowledge And Valution Open Court, Lasalle 1948. p.20 and also, Ibid p. 229.

وقد قدم هذه الاضافة

Frankona William K Op cit pp 229 &230 (WD Ross -

٨ودروس Ibid p. 230 -

وقد اعتبرت آراء فون رايت ١٠ Wright nهذه تطرفا في التصنيف ، وهذا الاسراف

يزيد مسألة التصنيف تعقيدا ، ويجعلها عديمة الجدوى.

9- Ibid. p 230 10- Rader M & Jessup B.: Art And Human Values - Prentice-Hall - NY. 1976-P 16

وان كان هناك من يرفض القول " بقيمة سالية " و" قيمة موجبة ، معتبرا أن مابقع في كلا الجانبين هو قيمة وحسب ، على أساس أنه لا وجود لهذا الفاصل المجرد والمصطنع بين الجانبين ، فيعتبر القبح والجمال شيئا واحدا اعتمادا على ما يقدمه كل منهما من تعبير من الانفعالات - (راجع الفصل الثاني القسم الفــاس بمقولات القيمة الجمالية من ص ٨٣-٩٩.)

١١ ويعتبر : رالف بارتون بيري Ralf Barton Perry - أبرز ممثلى هذا الاتجاه

12-Frankana, W.K. op cit p. 230

13-Ibid p 230 14-Ibid p 2 0230

١٥ -وذاك عند ديوي " وريتشارد م . هير Richard M - (Ibid p211 Hare)

16- Lewis C Op. cit. p. 31 Also: Reck, A.: The New American Philosophers, Louisina State University Press-Poton Rouge, 1966, P P 27-28 and Frankana. W K., op. cit. p.231

17- Perry, RB The General Theory Of Value. Harvard University Press. 1945. p 255 Also. Ibid p232. 18-Lillie W op. cit. p. 207

19-Schiller. FCS Value. in Enc. of Religion and Ethics. vol XIII Edinbuogh T&T clark 2nd ed. N. Y 1934. p. 564

20- Mackenzie. J.S.: Amanual of Ethics University Paperbacks. 3rd ed. London 1967 pp18&19 21-Confucius: The Wisdom of Confucius. tr. by Him Yutang Modern Liberary. New york, 1938.

ع " بورشوي ، جوليوس : الفيلسوف وفن الموسيقى - ترجمة فؤاد زكريا - مراجعة حسين فوزي - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ٩٧٤

22- Grey DR Ard in the Republic - Philosophy Vol, xxvl, No. 103 October 1952 Macmillan & Co. LTD London: 1952 pp. 293. 294. 23-bid p. 293

24- Beardsley. M. History of Aesthetics. In Enc. of ph. Vol. 1 The Free Press NYP 19

٢٥ -ستوانيتر ، جيروم : النقد الفني - دراسة جمالية - ترجمة فؤاد زكريا - الهيئة

المصرية العامة للكتاب - ط ٢ – القاهرة – ١٩٨١ - ص ٥٢٠ Mackenzie ٢٧J.S Op. cit.p. 20 -إسماعيل ، نازلي : الأخلاق والقيم – القاهرة - ١٩٨٤ - من ٤٩

28- Schiller. F.CS, Op ait pp 580, 587

٩ -جاريت ، أف : فلسفة الجمال - ترجمة (عبدالحميد يونس ، عثمان نويه

رمزي يس) - دار الفكر العربي - القاهرة - د. ت . م من ٣٤،٣٣ Plotinus Enneads. Great Books Of Westren World, Vol. 17 p.26

٣٢ -راجع الفصل الأخير من هذا الكتاب

33- Croce Bendetto Aesthetics As A Science Of Expression And General Linguistic, translated by: Douglas Ainsle. The Hoondy press. New york. 1922. ppl 12

راجع -اراء كروتشة في العلاقة بين الجمال والأخلاق في الفصل الأخير من هذا الكتاب

٣٤- غيث ، عاطف : قاموس علم الاجتماع – الهيئة المصرية العامة للكتاب

القاهرة ١٩٧٩ ، سه ٥٠

35- Manheim, Karl Systematic Sociology. An Introduction To The Study of Sociology (ed by JS. Eros) Routledge & Kegan paul London, 1967 Pp 131-132

36- Durkheim Emil Sociology and philosophy-op cit p. 52 & also Durkheim E Educaton And Sociology Tr Sherwood D. Fox The Free

Press N Y 1956 pp 75 76

٣٧ -هيث ، عاطف : قاموس علم الاجتماع - مصدر سابق - ص ص ٥٠٥، ٥٠٥.

٣٨ -نفس المصدر - من ٥٠٦ .

39-Radcliffe- Brown, AR. Structure And Function In Primitive Society. Cohn & West London, 1969-P p 140 & 141.

40-Mackenzie JS. Op cit p.218

41- Perry RB Op at p 143

42-Region Leo The Meaning and Validity of Economic Theory - New

York 1953 p. 319 .

٤٣ - إنجاز ، فردريك : أنتي دوهونج - ثورة " الهردو هرنج في العلوم – ترجمة فواد أيوب - دار دمشق للطباعة والنشر - طه - دمشق - ١٩٨١ ص ٢٢٩ .

٤٥- المصدر السابق – ص ٢٣٠

٤٦- نيكيتين ، بيوتر : ليس الاقتصاد السياسي - ترجمة الباس شاهين - المصدر السابق – ص ٢٣٠ ٣.

47 -Gorgn. Donald F., Labour Theory Of Value. In International Encyclopedia Of Social Sciences Vol. 15, Macmillan Company. Free Press. New York 1972, p. 280

٤٨ -ليكيتين ، بيوتر - مصدر سابق - ص ٣٠

٤٩ - المصدر السابق - ص ٣١

٥٠ - نفس المصدر ص ٣٢

51-Lillie. W op.cit.p. 208 also. Gorgon, D. F. opcit, p 281

٥٢ -نيكيتين ، بيوتر : مصدر سابق - ص ٣٣.

٥٣ - مصدر سابق – ص

٥٤ - نفس المصدر : ص ٣٥٣

٥٥ -غيث ، عاطف : مصدر سابق - ص ٥٠٤.

56- Perry R.B Op cit. p. 181

57- Krocber. AL & Kluckholin. C Significance and Values- In (Charkes. C Hughes) od of Make Men of Them - Introductory Reading for Cultural Anthropology-Rand Mc Nally & Chicago- 1972 p 214.

58-1 bid p. 213

59-Perry RB Op. cit. p 428

60-Kroeber. A L & Kbuckhon C. Op cit p. 215 61-Perry RB Op cit, p 229

62-1 bid pp 430, 431 61-1 bid pp 186

64-1 bid p 187

هذا علما بأن هناك من يربط بين الجمال ونتائجه الأخلاقية ، ويجعل علم الجمال مجرد تابع لعلم الأخلاق

65-1 bid p. 188

66- Rader, M. & Jessup. B. Art and Human Values- op. cit-p. 16.

67-See, Frankana. W.K.. Value and Valuation-op. cit. p. 229

٦٨ - وقد رأي " ماكس شهار Max Scheler * أن القيم جميعا تنقسم إلى نوعين : قيم ايجابية ، وقيم سلبية ، ووجود أية قيمة إيجابيه بعد هو نفسه قيمة إيجابية ، أما عدم وجودها فيعتبر قيمة سلبية ، والعكس صحيح ، وأية قيمة بعينها لا يمكن أن تعتبر قيمة إيجابية وسلبية في أن واحد " (راجع ، ابراهيم ، زكريا : دراسات في الفلسفة المعاصرة ، مكتبة مصر - القاهرة - د. ت . ص ٤٠١. ٦٩ - Rader. M & Jessup. B. Art and Human Values, op. cit - p. 16. 70-1 bid P 16

والجدير بالذكر أن " سانتيانا " قد رأى أن القيم التي تعنى بها الجمال في القيم

الايجابية ، بينما القيم الأخلاقية تعتبر من القيم السالبة ، (راجع Santayana. : G The Sense of Beauty - Being The Out Line Of Aesthetic Theory -Dover Publication 5 th ed. New York, 1955. p. 17. 71-Rader. M & Jessup B Art and Human Values op. cit, p. 17.

٧٢ -والجدير بالذكر أن " ماكس شيلر Max Scholer راي آن الإرادة ملكة عمياء

عن القيم ، ومن ثم فهي لا تستطيع أن تكون أخلاقية اللهم إلا حين تعاول أن تحقق عيانا سلبيا . – (راجع) : إبراهيم ، زكريا : دراسات في الفلسفة المعاص

-مصدر سابق - ص ٤٠٣.

3-Lillie, Win Introduction to Ethics-op.cit. p. 210.

74-Mackenzie. JS. A Manual Ethics-op.cit p. 219 also. Lillie. W An Introducton to Ethics op. cit p. 210. 75-Singer, Irving Santayana 'S Asthetics - A Critical Introduction - Harvard University Press, 1957 pp 59 & 60

٧٦ -وقد كتب سانتيانا في " The Sense of beauty : أن القيمة الأصلية أو الجمالية

Intrinsic or Aesthetic Valueلها الدرجة الثانية من الأهمية ..فعندما ترفض أن نقارن أو نوازن بين المزايا المتباينة التي تأتي عن شئ ما وذلك من أجل مبدأ مطلق لا يقدر سعادة والم البشر ، فإن ذلك يعني أن لدينا نظاما أخلاقيا فرديا خيالي

لا غره التجربة ، وهذا دليل على أن المخيلة الحرفية Superstitious Imagination

قد هزت المجالات العملية الرزينة للأخلاق Santayana The Sense of . Beauty op.cit-p 23

77-Mackenzie. J.S. Amaual of Ethics-op. cit. p 219

78-1 bid p. 218 & also: Rader, M& Jessup, B. -op.cit-p.17.

79- Rader M & Jessup, B. op. cit. p. 17& also. Lillie. W op.cit pp 209 210.

80-Smith. Wendall Bristow, op cit. pp. 87,88.

81-Signer, 1 Santaya's Asthetics - A Critcal - Introduction-op.

cit. p. 73.

82-Santayana G. The Senese of Beauty - op cit p.20

83- Rader, M& Jessup, B.-op.cit p. 17.

٨٤ -إبراهيم ، زكريا "دراسات في الفلسفة المعاصرة - مصدر سابق - ص ص

85-Moore, GE Principia Ethica - Combridge University Press - London - p

83 86- Rader. Melvin & Jessup Bertram: Art and Human Values-op. cit. p.11 87-1 bid p. 11

88-Santayana G The sense of Beauty - Being The Outline Of Aesthetic

Theory-op cit p. 17 89-Perry, RB-op cit - p. 255.

90- Rader. M & Jessup, B. Art and Human Values op. cit. P. 12

91-Ibid p. 12 92-1 bid p. 13

93-1 bid. p. 13

94-Ross. W.D. The Right and the good-Oxford University Press-London

1930 p. 127 95-Rader, M. & Jessup, B.-op cit-p.13

96-1 bid, p. 13

97-Human, D. An Enquiry Concerning The Principles Of Morals - Oxford University Press-London-1902-PP 291 & 929 98-Schlick. Morris Problems Of Value - Prentice-Hall, New york, 1939-p

99- Rossental, M& Yudin. p A Dictionary of Philosophy, tra from Russian by Dixon, R. R. & Suifium, M.-Progress Publishers, 1st Printing, Moscow, 1967.

P40 100-Parker. Dewitt H. Human Values - Harper & Brothers - New york – 1931

P 20 101-Chld. Arthur The Sociol Historical Relativity Of Aesthetic Value -

Philosophical Review-Vol Lill No, 313 January 1944, Cornell University

Press, New York 1944, PL

٢- اشفيتسر ، البرت : فلسفة الحضارة - ترجمة عبد الرحمن بدوي - مرجعة ر كي نجيب محمود المؤسسة المصرية العامة لتأليف والترجمة والنشر - القاهرة

ص من دات

103- Rader. M & Jessup, B. -op, cit p. 14.

104-I bid p 14 105- Alexander. Samuel Space. Time and Deity - Macinillan Company -

London - 1920 p. 302

106- Rader M & Jessup B. Art and Human Values op. cit. p. 16.

Also Mcgreal, lan A Naturalstic Analysis Value Terms- Philosophy And Phenomenological Research. Vol XX No 1 September 1949. University Of Buffolo- New York, 1949, Pp. 74-76 107-Frankena. WK Value And Valuation, op. cit p. 229.

١٠٨ -المعيار هو عند المنطقيين نموذج مشخص أو مقياس مجرد لما ينبغي أن يكون عليه الشئ ، ويرادفه العيار ، وهو ما جعل قياسا أو نظاما للشئ والمعيار في الأخلاق هو النموذج المثالي الذي تقاس به معاني الخير ، وفي علم الجمال هو مقياس الحكم على الانتاج الفني . وفي نظرية القيم هو مقياس الحكم علي فيم الأشياء ، والعلوم المعيارية هي التي تهدف إلى صوغ القواعد والنماذج الضرورية لتحديد القيم مو هي تقابل العلوم التفسيرية أو التقريرية Expinctive sciencesالتي تقوم بملاحظة الأشياء وتفسيرها كما هي عليه في الطبيعة مصدر سابق من

راجع : صليبا ، جميل : المعجم الفلسفي- -

109-Frankana W K. Value and valuation, op cit pp. 230 231 112-Bays Charles A. The Confirmation Of Value Judgment- op cit p. 51

110-[bid p. 211 111-1 bid p 241

111- Laille w -op cit p 164

١١٤ -پراهيم ، زكريا : المشكلة الخلقية - مكتبة مصر ، م ٣ - القاهرة - ١٩٨٠

115 Frankena WK Value and Valuation-op cit. p. 231

116- Mackenzie. Johnis Amannal of Ethics-op.cit p. 168.

١١٧- صليبا ، جميل : المعجم الفلسفي - مصدر سابق - ه ا ص ١٥٦ ١٥٧.

١١٨- Williams Robin M. The Concept Of Value - In. Internatal Enc. Of Social Sciences Vol 15 The Macmillan Company - The Free Press- 1972

P 283 119-Pepper. Stephen C. The Sources Of Value - University of California Press-Berkeley And Los Angeles- 1950 p. 300.

120-Frankena, W.K.: Value And Valuation - op.cit, p. 231.

121-1 bid p. 230. 122 Ibid p.231

123-1 bid p. 231.

Also: Morris, Charles: Signification And Significance, Astudy Of The Relation Of Signs And value, op.cit., p. 20.

124-1 bid: P 131 & also Sidgwick: Methods of Ethics, Book I & IV chapter 3 See:Lilli. W. An Introduction to Ethics, op. cit. pp. 129& 130.

125-Frankana WK: Value and Valuation, op. cit p. 231 126-Durkheim. E Sociology and Philosophy, op. ci. p.p. 82, 83. 127- Baylis, Charles A. The Confirmation Of Value Judgments, op. cit p.50

128-Frankan. WK. Value And Valuation. op.cit p. 231

also: Starter. J.p.: Existentilissm and Human Emotions, tr by Hazal

Barnes-philosophical Liberary- New York, 1980. p. 92.

الفصل الثالث

القيمة الأخلاقية والحكم الأخلاقي

تمثل القيمة الأخلاقية ركنا أساسيا في مبحث القيم ، بل وقد رضعها " أفلاطون " في مرتبة أسمى من الحق والجمال ، بجعله مثال رئيسا لعالم المثل ، وبمثابة الشمس التي تضيء العالم المعقول . كما أنها – أي القيمة الأخلاقية – ذات أهمية خاصة بالنسبة للإنسان وذلك لارتباطها الوثيق بالحياة العملية والمشكلات اليومية .

ونظراً لأن الأخلاق تشكل مفهوما من اكثر المفاهيم تداولا وشيوعا ، مما أدى في أحيان كثيرة الى إثارة اللبس ، والغموض حول ما نعنيه بكلمة : " أخلاق " بالمعنى الدقيق للمصطلح . . ومما يؤثر على اتجاهات الدراسة للقيمة الأخلاقية ؛ لذا فإننا سوف نبدأ دراستنا للقيمة الأخلاقية والحكم الأخلاقي ، ببعض التعريفات ، والمعاني الضرورية حتى يتكشف الموضوع عن جوانبه الأساسية ، وتتضح بعض جوانبه الملتبسة .

١- معنى الاخلاق

" الأخلاق في اللغة جمع خلق ، وهو العادة ، والسجية ، والطبع ، والمروءة . وعند القدماء تصدر بها الأفعال عن النفس من غير تقدم الروية ، والفكر ، والتكلف . فغير الراسخ من صفات النفس لا يكون خلقا ، كغضب الحكيم ، وكذلك الراسخ الذي تصدر عنه الأفعال بعسر وتأمل كالبخيل اذا حاول الكرم . وقد يطلق لفظ الأخلاق على جميع الأفعال الصادرة عن النفس محمودة كانت أو مذمومة . فتقول فلان كريم الأخلاق أو سئ الأخلاق . واذا أطلق على الأفعال المحمودة فقد دل على الأدب لأن الأدب لا يطلق إلا على المحمود من

الخصال " (١) .وفي اللغة العربية " توجد الأخلاق والآداب ، وان كانت كلمة الآداب " قد استعملت خصوصا للدلالة على الحكم القصار والجمل التي تحث أو تعبر عن المعاني الخلقية " (٢) . وهي تستعمل احيانا في صيغة المفرد وفي الأحيان الأخرى في صيغة الجمع .

ويناظر كلمة : أخلاق " في اللغة الانجليزية كلمة Morals وفي الفرنسية Morale وفي الالمانية Moral وفي الايطالية Morale وهذه الكلمة مأخوذة من الكلمة اللاتينية Mores جمع Mos ويناظرها في اليونانية (٠٠٥) ومنها اشتقت الصفة (Lxos٠) ومن هذه الصفة ، الإسم الأخر للأخلاق وهو Ethica في اللاتينية و Ethique في الفرنسية و Ethics في الانجليزية و Ethik في الالمانية Ethica في الايطالية . وفي اللاتينية نجد الكلمتين معا Ethica & Philosophia Moralis وكذلك في اللغات الأوربية الحديثة (٣) لتدل على علم الاخلاق والكلمة اليونانية (١٩٠٥) والتي اشتقت منها كلمة : أخلاق ترتبط بكلمة (eos) والتي تعنى عرفا Custom أو عادة Habit أيضا . وبناء على هذا يمكننا القول بأن علم الأخلاق هو العلم الذي يدرس عادات ، واعراف الإنسان ، أو بمعنى آخر يدرس سجاياه ، والمبادئ التي يتصرف ويسلك وفقا لها واضعا في اعتباره ماهو صائب وماهو خاطئ ، وماهو خير وما هو شر . (٤)

ولكن هذا التعريف ليس هو التعريف الوحيد . فقد تباينت التعريفات الى حد بعيد . فنجد هناك من يرى أن " علم الأخلاق هو العلم المعياري الخاص

بالسلوك الإنساني ، أو العلم الذي يحكم على السلوك بأنه صائب Right أو خاطئ Wrong خير Good أو ضار Bad ، وما شابه . وهذا التعريف يقول بأن الأخلاق علم Science قبل كل شئ . يمكن أن يعرف العلم بأنه نظام متكامل من المعلومات حول مجموعة خاصة من الأفعال والمعلومات التي تربطها علاقة وثيقة ، فالمعرفة العلمية تختلف عن المعلومات الشائعة ، أو معارف أناس في درجة دنيا الثقافة . واذا كان لكل علم مجاله . فإن علم الأخلاق يتعلق بالأحكام التي تقوم السلوك الإنساني . (٥)

واذا كان هناك من رأى أن الأخلاق تدرس الصواب والخطا . فإن هذا التعريف قد رأه بعض المفكرين تعريفا ضيقا ، لأن الأخلاق لا تهتم فحسب ، بصواب الفعل أو خطئه بل تسأل أيضا عما تكونه الأشياء الخيرة لأن كلمة صائب تستخدم للأفعال أما كلمة خير فتستخدم لكل ماهو مرغوب فيه كالأهداف والغايات ، كما أن الأخلاق تتصل بموضوع اللوم أو الثناء أو العقاب أو الإثابة ، بمعنى أن هذا يدخلنا في نطاق أخلاقي واسع يتعلق بالمسئولية الأخلاقية ، ومشكلة الحتمية وتصور حرية الإرادة وغيرها . (٦)

واذا كانت بعض التعريفات السابقة قد جعلت علم الأخلاق علما شاملا يدرس العادات والأعراف ، والسجايا والمبادئ التى يتصرف الانسان وفقا لها . فإن هناك من يميز بين علم الأخلاق وبين علم العادات الأخلاقية فالعادات الأخلاقية تمثل اعتقادات الناس بصدد الصواب خير والشر ، والعقوبة والإثابة وهلم جرا .

بالإضافة إلى الأفعال التي تكمل أو تتبع هذه الاعتقادات ، فهي يجب دراستها وستكون هذه الظواهر موجودة حتى م أي فرد بدراستها .وعلم الأخلاق يستخدم هذه الظواهر كمادة للدراسة مثلما يستخدم البيولوجي الأعضاء الحية كمادة لدراسة الكائنات الحية ، (٧)

وهكذا نجد أن هناك من يرى أن علم الاخلاق يختص بـإطلاق الاحكام القيمية على السلوك الإنساني ، ولا يقتصر على وصف السلوك وحسب كعلوم الأنثربولوجيا ، والاجتماع وعلم النفس . فهذه العلوم الأخيرة وصفية ، بينما الأخلاق علم معيارى (٨) من وجهة النظر هذه . واتساقا مع الموقف الذي يرى أن علم الأخلاق علم معياري ، فان هذا يؤكد على أن علم الاخلاق يبحث فيما يجب أن يكون ، وليس فيما هو كائن ، بل إن علم الأخلاق لا يختص فحسب بما هو خير ، بل يبحث عن المثل الذي يستحق اتباعه بصورة أكثر من غيره وبيان سبب التفضيل أو الاستحسان أو الاستهجان . وهذا ما يفرق علم الأخلاق عن العلوم الطبيعية .

ولكن ، من ناحية أخرى ، نجد أن هناك من رأى أن علم الأخلاق ليس علما معياريا وحاول تأكيد الاتجاه الوضعي لعلم الأخلاق وقد كان هذا الأمر أكثر وضوحا لدى علماء الاجتماع " فقد رأى " ليفي بريل " Levy – Bruhl أن الاخلاق المعيارية عقيمة ، وغير مجدية . وأنكر البحث فيما بعد الأخلاق أو الأخلاق النظرية Metaethics " ورأى أن علم الأخلاق يؤلف نوعا من الفيزيقا الأخلاقية Moral Physics ويبحث الظواهر الأخلاقية وقوانين تطورها في

مختلف العصور ، وفي سائر المجتمعات والثقافات . ورأى أيضا أن الظواهر الأخلاقية تخضع لقوانين ثابتة كما هو الحال في العلوم الطبيعية ، وذهب ، بناء على ذلك الى امكانية اقامة العلم الوضعي للأخلاق .(٩) وقد ربط " دور كايم " بين علم الاجتماع وعلم الاخلاق ورأى أن القواعد الأخلاقية ليست الا نتاجا لعوامل اجتماعية بحتة ، وأن النسق الأخلاقي في المجتمعات والثقافات المتباينة له وظيفة اجتماعية (١٠) فالحقيقة الأخلاقية ماهي الا حقيقة اجتماعية ، والمجتمع هو الكائن الأخلاقي الأعظم الذي تصدر عنه الحياة الأخلاقية . ويهدف الفعل الأخلاقي في ذاته الى غاية من الغايات . وهذه الغايات قد تكون فردية أو جمعية (١١)

وقد رأى " كارل مانهايم Karl Manheim أن الزمان التاريخي هو الذي يخلق الفكر ، ويفسر الفلسفات ، ويضع القيم الأخلاقية ، وبذلك يتميز كل عصر بنسق ثابت من القيم الأخلاقية ، فالأخلاق لاتوجد بمعزل عن التاريخ ، وهي أخلاق موضوعية لصدورها عن المجتمع والتاريخ وعن رؤيتنا لعالم الموضوعات العيانية . فالقيمة الأخلاقية ليست قيمة ذاتية مرتبطة بالفرد والذات الانسانية في تفردها ، بل هي قيم صادرة عن روح المجتمع والتاريخ ، وعن التفاعل المستمر مع مواقف التاريخ . (١٢)

وهكذا تباينت تعريفات علم الأخلاق بين المعيارية ، والوضعية أو التقريرية (أو الوصفية) ، وهذا ينطلق أساسا من الموقف الأصلى من القيم ، وأحكامها ، وهل هي معيارية أم تقريرية ؟

ولكن لما كانت الأخلاق تتعلق بالإنسان ، وتهدف ، من وجهة نظرنا ، الى ارشاد الانسان الى ما يجب أن يكون ، وليست مشيرة أو معبرة عما هو كائن ، لذا فإننا نرى أن الأخلاق معيارية ، أي أن الأخلاق علم يضع معايير السلوك الصائب والسلوك الخير .. الخ وانه هو الذي يختص بإطلاق الأحكام التقويمية على السلوك الإنساني ، ويقتصر على وصف السلوك فحسب .

٢- الأخلاق بين النظر والممارسة العلمية

قد يتسأل المرء حول الهدف من دراسة القيمة الأخلاقية : هل تهدف هذه الدراسة الى ارشاد الانسان الى السلوك الصحيح في الحياة العملية ؟

أم أنها تهدف الى تحليل طبيعة ومبادئ الأخلاق دون التدخل أو التأثير في الحياة العملية ؟

لقد تباينت الآراء حول هذين السؤالين . ولكن يمكن أن نجمل الآراء جميعا حول ثلاثة أهداف رئيسية :

(١) يرى العديد من المفكرين أن دراسة القيمة الأخلاقية ليست الا دراسة نظرية خالصة Purely Theoretical Study تهدف الى فهم طبيعة الأخلاق The Nature of Morality ودون أن تهدف الى التأثير على سلوك الانسان الذي يقوم بهذه الدراسة . (١٣)

وقد أنكر " ف . هـ .برادلى H. Bradley . أن تكون من وظيفة دراسة الأخلاق ، هي تزويدنا بقواعد عامة أو قوانين . وان التحايل بمحاولة تطبيق

المبادئ الأخلاقية على الخبرة العملية غير محبب في الحياة ولا جدوى له . (١٤)

كما أن " شوبنهاور " قد رأى أن الأخلاق نظرية ، ولا علاقة لها بأي طابع عملي شأنها في ذلك شأن المنطق أو الميتافيزيقا " فليس في امكانها أن تأمرنا بشئ ، أو تلزمنا بسلوك معين . وحياة الانسان تستمر دون أن تعير الأخلاق أدنى أهمية تلزمنا بسلوك معين فسلوك الإنسان متوقف بالضرورة على سماته العقلية . وعلم الأخلاق لا يبحث فيما يجب يكشف عن المبادئ الأخلاقية ، وأن يسلط عليها أضواء الفكر . فالأخلاق لا علاقة لها بالمرة بأي تأثير عملي سواء كان ذلك تأثيرا طيبا ، أو تأثيرا ضارا . (١٥)

والجدير بالذكر أن وجهة النظر هذه ترى أن القول بأن الأخلاق علم عملى Practical Science ليس الا خداعا وتضليلا ، وحجتها في ذلك أن هناك بعض الدراسات العلمية Practical Studies التي توصف بحق كعلوم عملية ، كالطب والهندسة ، والعمارة Architectare وقد وجهت هذه الدراسات مباشرة نحو الوصول إلى نتيجة محددة ، وقد صنفت الدراسات الأخلاقية مع هذه الدراسات كجزء من الدراسة العامة للتربية ، ولكن الأخلاق كدارسة نظرية تختلف عن هذه الدراسات ، ولا يمكن وضعها معها أو كجزء من التربية كما رأت الدراسات التقليدية شأنها في ذلك شأن علمي المنطق ، والجمال . فإذا كان المنطق يتعلق بالشروط العامة لاكتشاف الصدق وادراكه ، والجمال يتعلق

بالشروط العامة لانتاج وتقدير وتذوق الجمال ، فإن علم الأخلاق يتعلق بالشروط العامة المتضمنة في صواب ، أو خيرية سلوك ما (١٦) .

ولكن ألا تتصل الشروط العامة بمبادئ الخير أو الصواب يتوقعنا مساعدة هذه المبادئ لنا في الممارسة العملية للحياة ؟ بمعنى أن يكون دارس الأخلاق أنقى خلقا ، واكثر معرفة وممارسة لما هو خير ، ولما هو صائب من غيره الذي لم يدرس الاخلاق دراسة نظرية ويتعرف على مبادئها ؟

يجيب هذا الاتجاه بأنه اذا كان أعظم الشعراء والرسامين من درسوا المبادي دائما الجمالية ، فانه بالمثل ليست دراسة الأخلاق من الأسباب الضرورية لجعل الناس اكثر شجاعة أو عفة ، أو جعلهم من القديسين (١٧) ، بل أكثر من ذلك في الدراسات العملية ، كالطب والهندسة أو فنون الحرب Arts of Warfare نجد أن الخبرة لدى صاحب المهنة تكون مفيدة جدا ، وتميزه عن غيره ممن لم يتمرسوا ، أو يدرسوا دراسة متأنية لمهنهم ولكن هذا هو الموضوع المباشر للدراسة لتأهيل الناس لكي يؤدوا أنماطا خاصة من الأعمال ، بمعنى أن هذه الدراسات يرتبط فيها العملي بالنظري ولكي يكون الانسان بارعا في مهنته يجب أن يدرس الجانبين معا ، ولكن لو انتقلنا الى علم الجمال فاننا لا نجد أن موضوعه هو تأهيل الطلاب لكي يكونوا فنانين ، وبالمثل فان موضوع علم الاخلاق ليس هو تأهيل الناس لكي يصبحوا قديسين أو أكثر عفافا .... الخ (١٨) .

وقد نتسأل : هل يمكن أن تكون " المعرفة الاخلاقية " مجرد و السندوفين لجمال الطبيعة والفن ليسوا هم معرفة نظرية لاسبيل الى اتصالها بالمعرفة العملية . ؟

لقد انتقدت الاخلاق النظرية بشدة . فقد رأى " لينى بريل " أنها بلا فائدة ذلك أن النظريات والمذاهب الاخلاقية رغم اختلافها في الأمور النظرية ، فانها تتفق جميعها في القواعد التي تقررها ، وأنها بالضرورة ان لم تكن ذات علاقة بالواقع ، وبالحياة العملية فتكون مجرد عبث لاطائل من ورائه . وتطور عادات الناس لا يتم بفضل النظريات الاخلاقية وبل بطريقة مباشرة ومستقلة (١٩) .

وهذا الاتجاه يقيم الأخلاق على مصادرتين هما (٢٠) .

(١) الإقرار بأن " الطبيعة الانسانية " الفردية والجماعية واحدة ، هي هي في كل زمان ومكان . والأفعال والوجدانات الانسانية ينظر اليها على أنها ثابتة مستقرة .

(ب) هذه الاخلاق تفترض أن الضمير الاخلاقى " أي مجموع الاحكام التقويمية وتصورات الواجب والقواعد الخاصة بالسلوك . كل هذه تؤلف كلا منسجما وليس فيه تناقض . وان الوحدة المنس جمة للضمير الاخلاقي تناظر الوحدة التنظيمية للأخلاق النظرية .

وكرد على فصل الاخلاق (كعلم نظرى) على الحياة العلمية اتجه الفلاسفة الى الربط بين الاخلاق والحياة العملية . وهذا هو الاتجاه الثاني .

(٢) فقد راى مفكرون آخرون أن الهدف الأساسي للأخلاق هو التأثير في سلوكنا الفعلى Actual Conduct ، على سبيل المثال ، ج ١٠ . مور . G E. Moore الذي رأى أن هدف علم الاخلاق هو أن يطبق بطريقة معينة لكي يرشد الانسان في فن الحياة . (٢١)

واذا كان أصحاب الاتجاه الأول – الذين يرون أن الاخلاق علم نظرى فحسب يفترضون ان النظريات التي تدرس القيمة الاخلاقية ليست ذات تأثير على الاحكام الاخلاقية الفردية أو الممارسة العملية ، فاننا نجد صعوبة بالغة في دراسة ما اذا كانت النظرية الاخلاقية تؤثر على الممارسة العلمية ، أم الممارسة هي التي تؤثر على النظرية . ذلك أن المنظر الاخلاقي Moral Theorist لا يبدأ من مبادئ مجردة ومنها يستنتج النظرية الا خلاقية ؛ بل يبدأ من الافكار الاخلاقية الشائعة Common Moral Ideas في عصره وفي وطنه ، فيختبرها ويعدلها وفقا لمبادئ الاتساق وحدوسه الخاصة (والتي تتأثر أيضا بواسطة المناخ الأخلاقي المحيط به) . فينظمها في نسق متألف ، ولكن يتجه بها وجهة أخرى ، ونسراه لا يفرض مستويات أو معايير أخلاقية جديدة على الآراء الاخلاقية الكائنة في العصر ، وفي المكان ، بل نراه يقتبس هذه المستويات والمعايير الاخلاقية الموجودة مع تعديل أو نقد لبعض جوانبها . لأن ظروف العصر ، و المكان لاتؤثر فحسب في نظريته الاخلاقية ، بل تؤثر في الآراء الاخلاقية الشائعة التي يبدأ منها أيضا فقد أثرت " نظريات التطور في البيولوجيا " في آراء " هربرت سبنسر " الاخلاقية ، كما أثرت المعدلات السريعة لتصنيع

أوروبا الغربية في الآراء الشائعة في انجلترا العصر الفيكتوري (انجلترا الفيكتورية) Victorian England(٢٢)

والجدير بالذكر أن الممارسة الاخلاقية تتأثر بالعوامل الفعالة كالعرف ، أو التقليد أكثر من تأثرها بالنظرية (٢٣) . أي أن الاخلاق هي بالضرورة ذات صلة وثيقة بالحياة العملية وليست مجرد نظرية .

والأخلاق – من وجهة النظر هذه – تجعلنا نهتم بالمعيار الذي يمكن أن يستعمل لتقويم الأفعال أو وضعها ، ذلك المعيار الذي يستعمل في وصف ما يجب أن يكون أو ما يجب أن نفعله في الحياة ، ويقوم ما أو ما فعلناه (٢٤) فالمعيار ليس ذا وظيفة نظرية فحسب ، يرشدنا بما يجب أن يكون ، عكس ما تراه الاخلاق النظرية حيث يصف علم الاخلاق ماهو كائن ، دون أن يدلنا على ما يجب ان يكون .

ولقد وحد هذا الاتجاه بين النظر والممارسة العملية ، ويمكننان نجد جذور هذا الاتجاه عند " سقراط " Socrates اذ وحد بين المعرفة والاخلاق ، فقال بأن " الفضيلة علم ، والرذ نفعله ، جهل * وقد تردد صدى نظر الرأي في الفلسفة اليونانية فأصبح الانسان الشرير – في اليوناني القديم – هو الانسان الجاهل بينما نظر إلى الرجل الخير على أنه

الرجل الحكيم " . ولم يكن غريبا أن يسيطر – بعد ذلك – المثل الأعلى للرجل الحكيم على الفلسفة الاخلاقية لدى الرواقيين (٢٥) وقد اهتم " بانتيوس " الرواقي بالأخلاق الشعبية العملية ، ولم يعر الاخلاق النظرية الا اهتماما ضئيلا (٢٦) كما ان الرواقية التي قال بها كثير من الرومان أمثال " سنيكا " و " ماركوس أوليوس " كانت متجهة إلى الحية العملية ، أي الحكمة العملية وانصرفت بعيدا عن الأسس النظرية التي قامت عليها الاخلاق ، وقد أخذوا بالناحية الشعبية العملية مما أدى الى ان تأخذ الاخلاق طابع الأمثال والحكم ، كما هو مشاهد في تاملات ماركوس أليوس " (٢٧) . وبهذا يتأكد لدى الرواقيين الطابع العملي للأخلاق ولقد اتضح أن الحكيم " هو المربي ، أو المرشد الاخلاقي . إذ يقوم بتوجيه الناس نحو القيم الباطنة في ذواتهم ، ويكشف لهم معالمها ، وتكون مهمته هي التنبؤ بما قد يكون في امكان هؤلاء الاشخاص تحقيقه من الناحية الأخلاقية . فيرشدهم الى الوسائل والطرق التي يجب أن يستخدموها من أجل الوصول الى اسمى الغايات مستطلعا ما يجاوز خبراتهم الراهنة ، وقدراتهم المحدودة (٢٨) فالدور الذي يقوم به رجل الاخلاق دور مستقبلي ، يربط بين النظر وبين العمل . وهكذا فان الاخلاق ليست علما نظريا فحسب ، بل تتعلق بالسلوك العملي للانسان ، وهذا ما حدا بعض المفكرين – في اطار انتقادهم للأخلاق النظرية الى القول بأن الاخلاق النظرية ليست ممكنة الا اذا تعاونت مع علم العادات الأخلاقية ، – ولم تقع في نزاع معه – تعاونا وثيقا بحيث يصبح كلاهما متوقفا ومعتمدا على الأخر دون أن يفقد أي منهما مميزاته الخاصة (٢٩) وبذلك يتوحد النظر والعمل معا ، وتصبح

الأخلاق علماً نظرياً وعملياً في آن واحد ، ويكون هدف الأخلاق هو التأثير في سلوكنا الفعلي ، وارشاد الانسان الى فن الحياة – على حد تعبير ج . أ . مور .

(٣) **أما الفريق الثالث** " فيرى أنه بينما يعتبر علم الاخلاق موضوعا نظريا ، حيث يتعلق بالكشف عن الحقيقة المتعلقة بالموضوع الأخلاقي ، فانه يجب أن يتضمن الانتقاد المستمر للمعايير الاخلاقية عبر فحصه لطبيعة الاخلاق والمبادئ الأخلاقية ، وهكذا يصبح موضوعا عمليا بالرغم عنه في الغالب (٣٠) . ولكن هذا الاتجاه يمكن رده الى الاتجاه الثاني الذي يرى أن الاخلاق علم عملي يرشدنا الى السلوك القويم ، ويوحد بين النظرية والتطبيق ، وان كان يتم مع بعض التجاوزات .

*****

فالأخلاق اذن هي العلم الذي يلتقي فيه النظر مع العملية ، وذلك لأن علم الأخلاق لا يدرس فحسب طبيعة القيمة الأخلاقية ، والمبادئ الاخلاقية بل يرشدنا سواء مباشرة أو بشكل غير مبـار الـي السلوك الصحيح بالإضافة الى أن المفكرين الذين يصوغون نظرياته الاخلاقية ليسوا بمعزل عن الواقع المعيش ، وغالبا ما يستقون أفكارهم من بيئتهم وعصرهم . كما أن علم الأخلاق لا يصف ماهو كائن فحسب بل هو يرشدنا إلى ما ينبغي أن يكون ، أي أنه علم معياري يضع معايير للسلوك الواجب اتباعه .

٣- مفاهيم أخلاقية

أ- الخير والشر

يرتبط مصطلح الخير Good بالكلمة الألمانية Gut وله نفس الأصل اليوناني المتمثل في (a7000s) ، ويقال للشئ عادة أنه خير عندما يا ن ذا قيمة بالنسبة الى غاية ما . (٣١)

والخير اسم تفضيل ، كقولنا الحياة خير من الموت ، كما أنه يدل على الحسن لذاته وعلى ما فيه نفع أو لذة أو سعادة ، وهو بشكل عام ضد الشر ، لأن الخير يعني في بعض معانية – الكمال ، أما الشر فيعني النقصان . كما يطلق البعض مصطلح الخير على الوجود ، فيقولون ان على العدم ، فيقولون بأن الوجود خير محض ، بينما يطلقون " الشر " العدم " شر محض " . (٣٢)

أما الشر ، فهو السوء ، والفساد ، يقال " رجل شر " أي نو شر ، وهو شر الناس ، أي أكثرهم سوءا أو فسادا . والشر أنواع – كما رأى " ابن سينا " على سبيل المثال – اذ قال " واعلم ان الشر على وجوه : فيقال شر لمثل النقص الذي هو الجهل والضعف والتشويه في الخلقة ، ويقال شر لما هو مثل الألم والغم " . والشر : شر طبيعي ، ويطلق على نقص ، مثل الضعف والتشويه في الخلقة والمرض والآلام وما شابهها ، وشر اخلاقى ويطلق على الأفعال المذمومة ، وعلى مبادئها من الاخلاق وعلى كل ما يحق للارادة الخيرة (الصالحة) أن تقاومه . (٣٣)

والخير والشر مقولتان تعبران عن التقدير الأخلاقي للظواهر الاجتماعية والسلوك الانساني . (٣٤)

وقد ميز " جورج . – . أ . مور " بين كلمتي " الخير The Goodوخير Good فالخير تعنى خبرات متعينة توصف بأنها خيرة . أما " خير " فهي خاصية فريدة ، بسيطة وغير قابلة ، مثل كلمة أصفر . وتختلف عن كلمة أصفر في أن " خير " إذا وجدت في خبرات متعينة فانها تدرك اسطة " الحدس " اكثر من ادراكها بواسطة الحواس الفيزيقية Physical Senses كما هو الحال في " أصفر " . (٣٥)

ويؤكد " مور " على أن الخير لاتعريف له ، لأنه بسيط ، ولا يقبل التحليل الى اجزاء ، انه احد موضوعات الفكر التي لا حصر لها والتى لا تقبل التعريف . (٣٦)

وقد أرجع فلاسفة التحليل عدم امكانية تعريف " الخير " باستعمال مصطلحات أي خاصية طبيعية أو مجموعة من الخواص ، وذلك ليس عدم وجود أي خاصية طبيعية مشابهة ، بل بالأحرى بسبب بسبب ملاحظة أنه مختلف بالنسبة للسياق الذي يستخدم فيه ، ويشير إلى موضوعات ذات خواص مباينة لخواص الموضوعات الطبيعية كما أنه يستعصى على التعريف ، لأننا نرى أن الموضوعات التي تحوز على الخير ليست متشابهة في كل الظروف ، وخبرات الخير ليس لديها خواص أو صفات مشتركة . (٣٧)

أما " جون ديوي " فقد رأى أن البحث عن الخير ، بمعنى انه خاصية مشتركة بين كل خبرات الخير ، محكوم عليه بالفشل . واذا كان التحليليون قد وصلوا الى هذه النتيجة باستعمال التحليل اللغوى ، فان نتيجة " ديوى " تتبع الاعتبارات

الميتافيزيقية ، خاصة في آرائه المتعلقة بطبيعة الخبرة الانسانية The Nature of Hunan Experience . فالطبيعة البشرية ، كما أكد " ديوي " ، تعتبر شديدة المرونة بفضل أبعادها الثقافية والتاريخية · فما هو مرغوب في ثقافة ما في سياق تاريخي معين يختلف عن المرغوب في ثقافة أخرى أو سياق تاريخ آخر . كما رأى بناء على ذلك ، أن مفهوم الخير النهائي Ultimate Good ليس مفهوما خاطئا فحسب ، بل " مفرما شائنا وشنيعا " أيضا ، لأنه ينكر مرونة الطبيعة الانسانية ، كما أنكر " ديوى التمييز بين الخير الاصلي " Intrinsic Good والخير غير الأصلي . (٣٨)

ويرتبط الخير والشر ، كمقولتين أخلاقيتين ، أو كمعنيين المنافيين " بين لا معنى لأحدهما الا بالنسبة الى الآخر . وقد ظهرت العلاقة والشر منذ زمن بعيد يرجع الى بداية التفكير الانساني . فنجد في الديانات الهندية القديمة في تعاليم فينداتا Vendata Teaching في الهندوسية Hinduism القول بأن العالم بكل شروره عالما وهميا ، وقد ظهر صدى غامض لهذه الأفكار في الافكار المسيحية الغربية المعاصرة ، والتي أكدت أن الشر وهم ، ولا وجود لأساس واقعي له ، كما يعتبر اعتقادا زائفا .وقد ترك هذا الرأى الشر بلا تفسير ، ولم يحاول حله .

وقد أرجعت البوذية الشر الى " الشهوة التي تنمي فينا الرغبة في اللذة وفي اشباع الحواس ، وفي التملك ، وفي اثبات الذات وف الخلود الشخصي وفي الاهتمام بأمور الدنيا . (٣٩)

أما " الزرادشتية Zoroastrianism فقد ذهبت الى ان الشر حدث نتيجة لامتزاج النور بالظلمة ، والباري هو الذي خلطهما ومزجهما لحكمة رأها في التراكيب ، وربما جعل النور حقيقيا ، أما الظلمة فتتبعه كالظل بالنسبة الشخص يبدو موجودا وليس له في الحقيقة وجود ، فالاله أبدع النور وحصل الظلام تبعا لأن من ضرورة الوجود التضاد .أما المانوية " فترى أن النور والظلمة قديمان اذ يستحيل أن ينبثق شر محدث من " خير قديم ، اذ أن الطبيعتين متباينتان . (٤٠)

وقد رأى " القديس أوغسطين " أن الله خلق الانسان بلا خطيئة With No Sin وتركه في عالم بلا شرور . ولكن الانسان أساء استخدام الحرية التي أعطاها له الله ووقع في الخطيئة ، وبذلك نشأت الخطيئة مع وجود الانسان على الأرض . (٤١)

واذا كان الشر قد رأه البعض ناشئا بواسطة الموجودات البشرية ، أي بعد أن حل الانسان على الأرض كما في الاتجاهات اللاهوتية ، خاصة المسيحية منها– فإن هناك من يراه في الاحساس الفيزيقي بالألم ، أو في المرض ، وكذلك في المعاناة الذهنية والعقلية . ثم هناك الشر الميتافيزيقي المتمثل في عدم كمال الأشياء . (٤٢) كما رأى كانط أن الخير ليس الا مطابقة الارادة للقانون الأخلاقي ، في حين أن الشر هو معارضة الأرادة لهذا القانون ، والمطابقة والمعارضة هنا صوريتان خالصتان بمعنى أنهما تعبران عن توافق النية أو عدم

توافقها ، دون أن يكون هناك أي موضع لمطابقة خارجية مادية ، فان مثل هذه المطابقة الأخيرة انما تعبر عن قانونية الفعل لا عن اخلاقيته . (٤٣)

واذا كانت " الزرادشتية . قد رأت الشر نتيجة لامتزاج النور بالظلمة ، وأنه ليس له وجود محدد ، فان " المانوية Manichoeism " قد رأت أنه قبل وجود السماء والأرض ، وقبل وجود أي شئ بهما كانت هناك طبيعتان Two Natures احداها هي " الخير Good والثانية هي الشر Evil وهاتان الطبيعتان منفصلتان احداهما عن الأخرى Both are separate each from the other ، ومبدأ الخير يكمن في النور ويسمى بأبي النبل أو العظمة Father of Freatness و مبدا الشر يسمى بملك الظلمة King of Darkness و عالم النور يحاذي عالم الظلمة دون أن يكون بينهما جدار . (٤٤)

ومع ذلك فإنه من الصعب أن نسمي الشر دون أن تخطر ببالنا فكرة الخير على اعتبار أن الشر بمثابة سلب ونفي وحرمان من الخير (٤٥) فاذا كان " الخير الأسمى يتمثل – على حد ما يرى " سانتينا في الانسجام والبساطة ، فان الشر يبدو سليا لهاتين الصفتين ، (٤٦)

وإذا كان الخير والشر يرتبطان بالارادة ، فانه يمكن القول بان ار مظهر التوزع الانسان وتفككه ، وذلك تحت تأثير رغباته المماضية تي تنفعه الى الخروج على " مبادئ · الخير أو على القواعد الاخلاقية . وهذا ينطلق من رؤية أن الأخلاق مظهر من مظاهر النظام أوالتكـامل . وحين يقال بأن الشر يمثل ضربا من الخيانة أوعدم الوفاء ، فانهم يعنون بلك أن تجربة الشر في جوهرها عملية إنكار

للقيم (٤٧) وهذا التساقا مع تعريف القيمة Vale بأنها الخير Good أو وضع كلمة خير مكان كلمة فية . (٤٨)

والجدير بالذكر أن الخير ، والشر معا يثبتان أن الانسان بلك ارادة حرة ذلك أن امكانية الشر تعبر عن امكانية الخير . فقد تبدو الارادة في حد ذاتها خيرة ، انما يكمن الشر في سوء استعمال هذه الارادة . وتعارض الخير والشر يضع أمامنا منذ البداية أسلوبين متمايزين من أساليب الوجود في العالم . وهذ الازدواج القائم على وجود التناقض هو الذي يفرض علينا الاختيار ، سواء كان ذلك بالقبول أو بالتمرد والثورة ، وذ لك هو السبب في أن مشكلة : الخير والشر " ترتبط في الأذهان بحرية الإرادة (٤٩) .

وإذا كان الفهم السائد يرى أن الحياة كفاح مستمر في مواجهة الشر من أجل إبداع الخير وتحقيق القيم – على حد مايري بنتشو كروتشه " Benedtho Croutsha فإن جان جينيه يفعله الشر ومعاونته تبرير ذلك لنفسه بأنه اختار دوراً لا يريد أحد القيام به عندما واجهه المجتمع منفرداً – وهذه محاولة كومينية " لإقناع نفسه بأنه ليس فاعلا بل هو أيضا " بمثابة شهيد " في اختياره لهذا الدور ، وأنه فحسب يتمرد على الأخلاقيات الزائفة التي تجعل الخير والشر مفهومين أخلاقيين يرتبطان بالرغبات الانسانية وفي صورة ثابتة . (٥٠)

لقد فهم " جينيه " الخير والشر ، أو ما نطلق عليهما " هاتين التسميتين " عبر فهمه للحرية التي تعنى التمرد على كل ماهو تقليدى ، والانفلات من قيوده لأن

الحرية تضاد ماهو استاتيكي ، وزائف . وبذلك كان معنى الشر عنده يختلف تماما عن المعنى التقليدي .

وهكذا نجد أن الربط بين الخير والشر قد تبـاين كثيرا المفكرين والفلاسفة ، وذلك تبعا للمنطلقات التي يؤسسون عليها مواقفهم من المفهومين . وسواء كان هناك من يرفض القول بوجود الشر كلية ، وجعله مجرد ظل للخير أو لفعل سلبي للإرادة الانسانية ، أو جعلهما فعلين ايجابيين على أساس أنهما ابداع حر للإرادة الانسانية في مواجهة الثبات والجمود والأطر التقليدية للحرية .

ب- النسبي والمطلق في الأخلاق

يتكون كل علم من عدد من التعبيرات الكلية ، فإذا كانت Science فيجب ان تشمل عددا من الأحكام الأخلاقية التي لا تعتبر صادقة بالنسبة لشخص واحد بل تعتبر صادقة بالنسبة لجميع الناس ، أو لجميع الناس في مجموعة معينة ، ولكن الأخلاق النسبية تؤكد أنه لا وجود لقواعد أخلاقية يمكن تطبيقها على جميع الناس ، بل تختلف باختلاف الجماعات ، فلكل جماعة معاييرها وقواعدها الأخلاقية الخاصة التي تختلف باختلاف الزمان والمكان (٥١) ويواجه الاتجاه النسبي الاتجاء المطلق على الأسس الآتية :

أ - تتباين القواعد الأخلاقية بتباين الزمان والمكان ، فما كان بعد اخلاقيا في الماضي قد لا يصير أخلاقيا في الوقت الحاضر ، وعلى سبيل المثال ، بعض العادات أو الافعال التي كانت تعتبر اخلاقية في الماضي قد لا تعتبر أخلاقية في " الحاضر وكان مختلف القواعد الأخلاقية لدى الناس في مكان ما عن

القواعد الأخلاقية التي يمت الناس لها في مكان آخر . فما يجده " الهندوس " " Hindus خيرا أخلاقيا قد لا يكون كذلك بالنسبة للبريطانيين ، وكذلك قد تختلف أيضا المعايير باختلاف الآراء . (٥٢)

ب- الرأي القائل بأن الأحكام الأخلاقية أحكام الفعالية ، تقوم على الوجدان يؤكد على نسبية الأخلاق . فقد تختلف باختلاف الأفراد ، وتختلف بالنسبة للفرد الواحد باختلاف الزمان والمكان ، والحالات الوجدانية . (٥٣)

ومن ذلك يتضح أنه لا وجود لمعايير أخلاقية مطلقة ، وذلك لأن لا نحكم على الأفعال بواسطة قانوننا الأخلاقي ، بل نحكم بأن قانونا اخلاقيا أفضل من قانون أخلاقي آخر وهذا التفضيل هو السبب في التقدم بالمعنى الأخلاقي .

وهكذا نجد أن الأخلاق النسبية تؤكد على تباين المعايير الأخلاقية ، وترفض أن يكون المعيار مطلقا لا يتغير مع الزمان والمكان ويربط النسبيون هذا الاتجاه أما بأسباب سيكولوجية ، أي بتهاين حالات الفرد يتباين المكان أو الزمان ، أو تباين الحالة الوجدانية ، أو بالظروف الاجتماعية والمستويات الثقافية ، أو المرحلة التاريخية ، أو الطبقة الاجتماعية أو غيرها من الأمور التي تتصل بالانسان (٥٤) .

أما أصحاب الاتجاه المطلق فإنهم يرون أنه لو لم تكن ثمة معايير أخلاقية مطلقة لكان علينا أن نرفض امكانية تفضيل المرء لأية شريعة أخلاقية أخرى على شريعته الخاصة (٥٥) . فالتفضيل أساسه - في رأي أصحاب هذا الاتجاه - ينطلق من كون بعض الشرائع الأخلاقية - أو أن هناك شريعة

أخلاقية ما (مطلقة) – يمكن تطبيقها مهما اختلف الزمان أو المكان أو الاشخاص .

ولكن مثل هذه القواعد أو الشرائع المطلقة من الصعب الاقتناع بها ، على أساس أن الأخلاق اجتماعية ، والانسان الأخلاقي هو الانسان الذي يعيش في مجتمع وبالتالي فإن تباين المجتمعات ، يعنى تباين القواعد الأخلاقية ، وبالتالي فان الأخلاق المطلقة غير مبررة – من وجهة نظرنا – عقليا . وإذا قبلت على أساس ديني فإن قبولها يكون وجدانيا .

(جـ) الضمير The Conscience

(١) معنى الضمير وطبيعته

الضمير بالمعنى اللغوي في العربية هو " السر داخل الخاطر " ، والجمع ضمائر كما أن الضمير هو الشئ الذي تضمره في وأضمرت الشئ أخفيته . وهو مضمر اى مخفى ، والضمير في النحو ما كني عن متكلم أو مخاطب أو غائب . هذا ولم يتم العثور على استعمال " كلمة " ضمير " بمعنى الشعور المميز بين الخير والشر ، فيكتب اللغة والأدب ، أو في كتب الفلاسفة المسلمين ، بل كان استعمال هؤلاء لكلمة ضمير دائماً بالمعنى اللغوي العادي أي " السر أو الخاطر " مضمر في النفس . وهذا المعنى موجود في اللغات الأوربية الحديثة لكلمة Censcience أي المعرفة الباطنة ، أو السر ، والفكر الباطن ، والعلى . كما يوجد المعنى الذي يميز بين الخير والشر . (٥٦)

وهو في الانجليزية Conscience ، في اللاتينية Conscientia و بالخطا اشتق هذا اللفظ من كلمة Consire اللاتينية والتي تعنى الوعى والكلمة اليونانية (ovELLs) والالمانية Gewissen والانجليزية القديمة Inivie وجميعها متشابهة في المعنى ، وكلمة Conscients قد اعتدنا استعمالها بلا تمييز في الغالب سواء بالنسبة للضمير Conscience أو بسسبة للوعى أو الشعور بصفة عامة ، وفي الانجليزية كما في الفرنسية نرى أن كلمة " . استخدمت بمعنى " الوعى أو ضمير الشعور وان كان مالبرانش Malebranche وبعض الكتاب والمفكرين الفرنسيين قد استخدموا كلمة ضمير بمعنى الوعى الذاتي Self Consciouness (٥٧) .

ويعرف معجم لا لاند " الضمير على النحو الآتي :

* الضمير (الأخلاقي) هو خاصية العقل في اصدار أحكام معيارية تلقائية ومباشرة على القيمة الأخلاقية لبعض الأفعال الفردية المعينة . وحين يتعلق هذا الضمير بالأفعال المقبلة ، فإنه يتخذ شكل صوت يأمر أو ينهى . واذا تعلق بالأفعال الماضية ، فانه يترجم عن نفسه بمشاعر فانه يترجم السرور (الرضا) أو الآلم (التأنيب) وهذا الضمير يوصف تبعا للأحوال المختلفة – بوصف : الواضح ، الغامض ، المريب المخطئ ، الخ . وقد اعترض أحد اعضاء الجمعية الفرنسية – من الذين راجعوا معجم لا لاند " صوت " هنا ، لأنها قد تؤذن باشـــارة الى – على استعمال كلمة اللاهوت ، وذلك لأنه يجعل من الضمير أمراً مفروضاً من الخارج على الإرادة (٥٨) .

والضمير استعداد نفسي لادراك الخير والشر أو الحسن والقبيح من الأفعال الأخلاقية ، ويطلق على الملكة التي تحدد موقف المرء ازاء سلوكه أو تتنبأ بما يترتب على هذا السلوك من نتائج أدبية واجتماعية (٥٩) أو هو " مركب من الخبرات الانفعالية القائمة في فهم الانسان للمسئولية الاخلاقية بالنسبة لسلوكه في المجتمع ، وتقديره الخاص للفعل والسلوك ، والضمير ليس خاصية وراثية في الانسان ، بل هو يتحدد بموقف الانسان في المجتمع وظروف حياته وتربيته وغيرها . وهو وثيق الصلة بالواجب وقوه تنفع الانسان لرفع مستواه الأخلاقي . (٦٠)

ومع ذلك فإن المعنى الأخلاقي للمصطلح يكتنفه بعض الغموض الناتج عن تباين معانيه ، فبالاضافة الى المعاني المسابقة اتجده يعنى ال الشعور باللذة أو الألم وخاصة ذلك الشعور المؤلم المصحوب بانتهاك تها – مبادئ الواجب المتعارف عليها ، وفي أحيان أخرى فانه يعنى مبدأ الحك الذي تحدد بواسطته ما اذا كان فعل ما خاطئا أم صائبا من الناحية الأخلاقية ، وقد يشير الى مبدأ الحكم هذا كما يبدو في شخص محدو موضع محدد في الانسان .واخيرا فانه قد يستعمل ليشير إلى الضمير الذي لا يمتثل للانحراف أو التعاليم الكنيسية ، أو الضمير الأوربي وما شابه ذلك . (٦١)

وقد رأى القديس " توما الأكويني " ان الضمير هو – على نحر ما – الحكم الصادر عن العقل . وكذلك أكد فولكييه Foulquie على أن الضمير الأخلاقي في جوهره عقل وعقليته تتجلي خصوصا في شكل الاسترجاعي .

أولاً : حين يسأل الفرد هل المشاعر الأخلاقية التي يستم والضغط الاجتماعي الذي يخضع له تقوم على أساس من العقل ؟ ثانيا : حينما يسعى الأخلاقي (وعالم الأخلاق الي * المقتضيات المقر بأنها مشروعة في مذهب واحد . (٦٢) وعلى العكس من ذلك فهناك من رأى أن الضمير الأخلاقي ليس علم الخير ، وليس معربة نظرية على الرغم من كونه يحتوى على عناصر منها ، بل هو يدل على الشعور بالمبادئ ، والتمييز شبه الغريزي لقيمة الفعل الحاضر ، ويمكنه أن يفكر أو يتأمل ، في تقديراته ، ولكن سيكون من الضار أن يلجأ " ضمير دائما إلى التفكير في قيمة المبادئ أو الافعال . والأفضل أن تكون تقديراته وعادة ، حتى يتيسر له أن يقودنا عن ثقة وأمان ، عن بمثابة عاطفة سورة واسعاف مثلما نشهد في ردود الفعل الغريزية ، (٦٣)

أما بتلر Bishop Butler (١٦٩٢ – ١٧٥٢) فقد اعتقد أن الطبيعة الانسانية كل عضوى organic whole يحتوى على العديد من العناصر والتي يخضع بعضها لبعض بشكل طبيعي وبناء على ذلك يوجد في طبيعتنا عدد من العواطف أو المثيرات الخاصة والجزئية والتي تقودنا إلى السعي من أجل موضوعات خاصة أو جزئية ، ولكن كل هذه تخضع بشكل طبيعي لحب الذات self – Love هذا من جهة ، وتخضع لنزعة عمل الخير (أو الخيرية) Benev Olence من – جهة أخرى . ولكن هناك مبدأ محددا في الطبيعة الإنسانية يعتبر من الناحية الطبيعية أسمى من حب الذات أو الخيرية . هذا هو مبدأ التأمل في قانون الصواب ، وهو ما عناه بتلر بالضمير " (٦٤) .

وقد اعتبره ميدا – مقوليا Categarical Principle لمكانته في العرف الانساني ، وهو المبدأ الذي نقوم بواسطته (أي نستحسن ، أو نستهجن) افعالنا أو انفعالاتنا وهو من طبيعته التعالى فوق كل شئ ولا يمكن ان نكون فكرة عن هذه الملكة (الضمير) دون أن نضع في اعتبارنا اشرافه أو رقابته على اتجاه احكامنا الاخلاقية . (٦٥)

والضمير – وفقاً لوجهة نظر " بتلر " صورتان – الصورة الادراكية الخالصة ، والصورة السلطوية (صورة ذي السلطة) Authoritative ، بالاضافة الى الاعتقاد بأنه يجب أن يقال إنه مبدأ فعال أي أنه حقيقة يقدم علة للفعل . ويراجع ويقيد الافعال . وفي صورته الادراكية يعتبر مبدأ للتأمل ، وموضوعه هو الافعال والسجايا ، ومقاصد الانسان . ويمكن القول إنه – أي الضمير – من هذه الناحية هو الملكة التي تتأمل السجايا والأفعال والمقاصد مع تصور خاص بالنسبة للخير أو الشر فالضمير يحكم بأن الألم يتوافق مع الخطأ ، والسعادة تتوافق مع فعل الخير أو الصواب وهو ليس حكما على الأفعال أو المقاصد منعزلة ، بل الحكم عليها بالرجوع الى طبيعة مثالية للوسيلة أو الأداة . اما القول بأن الضمير لديه سلطة عليا ، يعني " بتلر " به أننا نعتبر قرارات الضمير ليست قرارات بسيطة كالتعبيرات الانفعالية الحقيقية وليست بسيطة كتوازن فكرتين احداهما تجاه الأخرى . بل يتخذ القرارات الحاسمة على مستوى الفعل والنظر تجاه القيام بفعل أو عدم القيام به ، لأنه عندما يقرر خطأ فعل يسمح بوجود حافز ضد القيام به . (٦٦)

وعندما نتساءل عن طبيعة هذا المبدأ السلطوي " فاننا نجد رأيين متباينين : ووفقا للرأي الأول ، فانه يعتبر ملكة يصعب على تعليلها ، أو تفسيرها ، هذه الملكة التي توجد بداخلنا ، وبواسطتها توضع القوانين ووفدا لوجهة النظر الثانية ، فانه يعتبر سلطة عقلية يمكن أن تفهم أوامرها بواسطة التامل العقلى . وليس واضحا تماما الى أي الرايين يميل " بتلر " ، ولكن هذين الرأيين يوجدان معا لديه ، وذلك أن الأول يعرف لديه باسم الحدسية والثاني يعرف باسم قانون العقل Law of. Reason . (٦٧)

ومن خصائص الضمير ، الشدة Intensite والقصد Visue والا ٤ Efficienc . فهو ينعت بانه قوى أو ضعيف أو لامتناه أو مناه – من ناحية الشدة – ويوصف بأنه نزيه ، النزاهة التي تستبعد عدم الاكتراث القيمة ولا يقصد من هذا القضاء على كل المنافع . والا كان الضير خاويا ، وانما المقصود بالنزاهة توجه كل المنافع نحو القيمة " المطمة " التي تتركز فيها وتتغذى عليها كل القيم التجريبية . وهذا ما يعنيه " لوسن Lesenne " بالقصد . أما ما يعنيه بالفعالية فهو أنه يجب على الضمير الأخلاقي ان يكون مصمما على التعلق بالقيمة ، في المكان والزمان ، وان ينشئ تصميمات وقرارات متشبثة بقيم مثالية . (٦٨)

(٢) تكوين الضمير

أ- يرى بعض علماء الاجتماع (٦٩) أن الضمير حصيلة آلاف الضغوط الاجتماعية على الفرد : التربية في الأسرة وفى المدرسة ، القهر الرسمي الذي تمارسه المؤسسات والنظم الاجتماعية ، والقهر المنتشر الذي يصدر عن

الأعراف والعادات الاخلاقية ، والتقليد والاحتذاء ، وسلطان البيئة والحضارة وغيرها . وجميع هذه المؤسسات تتضافر وتتحالف من أجل تشكيل ضمير الفرد .

وما الضمير الفردي الا انعكاس للضمير الجمعي . فقد رأى " دور كايم " أنه حين يتكلم الضمير ، فان المجتمع كله يتكلم فينا (٧٠) وان الضمير الجمعي هو الذي يفكر ويشعر ويريد . وان كان لا يستطيع أن يريد أو يشعر الا بواسطة الضمائر الفردية . (٧١)

ويمثل الضمير الجمعي نسقا من المشاعر والعواطف والمعتقدات يشترك فيها أعضاء مجتمع ما ، وبناء عليه تكون العلاقة فيما بين هؤلاء الأعضاء . (٧٢)

ويصدر القانون الأخلاقي عن المجتمع ا الذي يتجاوز الفرد من كل النواحي ، ولما كان المجتمع هو ما يتلقى عنه الفرد الحضارة ، لهذا فان أوامر المجتمع ونواهيه ، وهو ما يكون ضميره ، ، أمور مرغوب فيها وملزمة في نفس الوقت . (٧٣)

ولقد وُجهت انتقادات عدة لوجهة النظر هذه . وذلك لأن " تدرج القيم " الموجودة في الضمير ليس هو بعينه ذلك السائد في المجتمع الذي ينتسب اليه الفرد ، والا تساوت كل الضمائر في المعايير التي تتخذها مقاييس للأخلاق ، فضمير العامي ليس مساويا لضمير المثقف ، وضمير من ينتمي الى طبقة اجتماعية معينة ليس هو نوع ضمير من ينتسب الي طبقة أخرى ، كما ان الضمير يتكون

تدريجيا بالتربية والثقافة والعلم وتنوع مصادر التقويم من دينية وفلسفية وحضارية . وهذا يدل على أن دور الشعور الجماعي دور ضئيل في تكوين هذا الضمير . و . واذا كان الضمير وعيا ، فان العقل الجمعي (الضمير الجمعي) نوع من الشعور المنتشر شبيه بالدوعي ، وفي الضمير محاكمة عقلية وبرهنة منطقية وليس مجرد عاطفة لا واعية كما ذهب الى ذلك " رسو " وأمثاله من القائلين بأن الضمير غريزة أو قبيل الغريزة (٧٤) .

واذا كان هناك من يحاول تبرير دور (الضمير الجمعي) بريمة بالعرف ، فاننا يمكننا القول بأنه في مستوى العرف تكون السلطة في الحياة الأخلاقية خارج الفرد ، أي ان ما يفعله الفرد يكون هوء ستحسنه مجموعته ، بينما في مستوى الضمير نجد ان السلطة الأخلاقية في داخل الفرد هي الصوت الداخلي الذي يوجهه (٧٥)

أما هربرت سبنسر فقد رأى أن فكرة الضمير الأخلاقي وثيقة الصلة بفكرة " البقاء للأصلح " – مؤسساً على ذلك مايسمي بالأخلاق التطورية – فالتغيرات النافعة ، أي التي تعود فائدتها على الجنس ، ومنها بطبيعة الحال الوسائل النافعة في السلوك تظل بصورة مستديمة ، ويحتفظ بها أفراد الجنس بعد أن تتبين لهم فائدتها ، وتصبح بذلك استعدادات وراثية في سلالاتهم .وعلى ذلك فإن الضمير الأخلاقى قد شامن التغيرات التي اعترت الجنس بمحض الصدفة وظهرت فائدتها له فتمسك بها وتأصلت فيه بطريق الوراثة . (٧٦)

وبناءً على هذا فان الأخلاق تنبعث من الآلية الخالصة ، ويكور الضمير الاخلاقي وليد الصدفة ، ويكون الموت الذي يكتب على عيم الصلاحية مصدرا لحياة تظل في الرقي باستمرار . فالتقدم الأخلاقي هو تكيف الانسان مع ظروف الحياة أو مع الوسط وذلك باستغلال الظروف لصالح تطوره ونموه (٧٧) وهذا يؤدى الى تطور ضميره الاخلاقي المرتبط ارتباطا وثيقا بالظروف التي تؤدي الى تغيرات سواء كانت بطيئة أو سريعة في الجنس البشري .

ولكن يؤخذ على هذا الاتجاه " التطوري " انه يرى ان الوراثة تتدخل في تكوين الضمير الأخلاقي وتحديد مساره " وقد هدمت الابحاث التي قام بها علماء البيولوجيا هذا التصور ، فقد أثبت " فايسمان Weissmanit " أن ما ينتقل بالوراثة ليس صفات مكتسبة ، أو استعدادات محددة ، بل اتجاهات غامضة صبغة نفسية وعضوية . في آن واحد " (٧٨) .

كما أن هذا الاتجاه يفترض ان التطور يسير على نحو غير واع ، بحيث يتم التحول – دون وعى وقصد – من الأثرة إلى الايثار ، مع أن الاخلاق تقوم بالضرورة على وعى كامل ومقصد بين ونية واضحة ، والا لما كانت أخلاقا " . (٧٩)

(ب) وعلى النقيض من اتجاه علماء الاجتماع نجد الفلسفة الاخلاقية تتجه بشكل عام بعيدا عن الرأي القائل بوجود دور المجتمع في تكوين قواعد الاخلاق والضمير فنجد هناك من يرى أن أكثر التعبيرات وضوحا عن الضمير هي تلك التي تناقض أوامر المجموعة (٨٠) واذا كان من الحقيقي أن الضمير يأمر

الانسان بأن يتبع أعرافا جماعية الا أنه أحيانا يأمره بعكس ذلك ، ويمكن توضيح أن الضمير يتقدم على الأعراف في ثلاث اتجاهات . (٨١)

١- ان المعايير الاخلاقية تختار بفاعلية بواسطة الأفراد ولا تخضع للقبول السلبي لما تقرره الجماعة . وحتى عندما لا يقوم الشخص بنفسه باختيار فعال للمعايير فإنه يرى أن بوسعه أن يرفض أي معايير لا يقبلها .

٢- يوجد اهتمام شخصي في الاخلاق ؛ ذلك أنه في مستوى الجماعة تكون المعايير الاخلاقية مقبولة بدرجة أكبر أو أقل بلا وعى كجزء من المناخ الاخلاقي للمجتمع الذي يعيش فيه الانسان أما على مستوى الضمير ، فكونك " خيرا " يعتبر موضوعا شخصا .

٣- يرى بعض الفلاسفة ان الاخلاق ليست موضوعا للمؤسسات والجماعات في المجتمع بقدر ما هي مجال من مجالات الفرد – خاصة – الأخلاق الخالصة .

وقد رأى " كانط " أن الضمير الاخلاقي هر الشعور برجر محكمة داخل الانسان أمامها تتبادل أفكاره الاتهام ، أو التبرئة . وه الضمير يجب أن يكون شخصا ، أو أن يفكر فيه على أنه شخص ، پى أن تعد كل الواجبات بالنسبة اليه بمثابة أوامر . لأن الضمير القاضي الداخلي الذي يفصل في كل الأفعال الحرة . (٨٢)

ولما كان القانون الاخلاقي عند " كانط " قانونا قبليا Aprion اي انه سابق على التجربة وموجود في طبيعة العقل ، وصالح لكل الكائنات العاملة ، ولا يمكن أن

يستمد من التجربة ، بل هو سابق عليها ، وحاكم عليها ، ومتعال عليها وهو ليس شيئا مفروضا على الارادة من خارجها ، بل هو منبثق عن الإرادة ذاتها وهذا هو ما يبرر ضرورة طاعته (٨٣) لذا فإن القول بأن الضمير الاخلاقي والذي يمثل المحكمة الموجودة داخل ناتج عن المجتمع – كما يقول الاجتماعيون – يمثل ضربا مر التناقض في رأي كانط . (٨٤) لأن الضمير هو بمثابة العقل العملي الذي الأنسان يضع قانونا قبليا للأخلاق ، وهو بهذا يكون لصيقا بالفرد منبتها من داخله ، بعيدا عن المجتمع .

٣- يرى بعض علماء النفس – أن تكوين الضمير يرجع الي قوانين نفسيه أو بيولوجية فقد تصوروا أن الانسان في الاصل كان يعمل وفقا للذه ، ولكنه سرعان ما تبين له أنه ليس من مصلحته أن ينتهب اللذات أيا كانت ، وشيئا فشيئا حدث نقل للقيمة وانفصلت اللذة عن الفعل الجالب لها ، واصبح هذا الفعل ذا قيمة في ذاته ، وثبتت العادة هذا الوضع في الفرد ورسخته الوراثة في النوع . (٨٥)

ولكن يمكن الرد على هذا الاتجاه بأن من المشكوك فيه وراثة الصفات المكتسبة كما أن العادة لا تخلق الالزام الخلقي ، والضمير الاخلاقي بناء على ذلك يفقد أهم وظيفة أو دور له ، وهو الحكم الأخلاقي الفعال والملزم .

وهكذا اذا كان علماء الاجتماع ، على سبيل المثال – دور كايم – قد ربطوا الضمير بالمجتمع ، وجعلوا ما يسمى " بالضمير الجمعي أو " العقل الجمعي " هو المشرع القوانين الاخلاقية ، ونفو وجود أي دور للضمير الفردي ، وعلى النقيض من ذلك كان موقف " كانط " – والذي رأى أن الضمير بمثابة صوت

داخلي ، ومحكمة داخل الانسان ، عازلا ، ودور المجتمع وعناصره المختلفة الضمير عن كل المؤثرات الاجتماعية ، في التأثير على الانسان . كذلك كان بعض علماء النفس يرون أن الضمير يتكون بالرجوع الى قوانين بيولوجية ونفسية ، جاعلين ما يكتسبه الفرد في وقت معين يتم توريثه بعد ذلك ، ويدخل في نسيج الانسان الطبيعي .إلاأننا ترى أن الضمير يخضع في تكوينه للثنائية ، أي لما هو ذاتي ، وما هر موضوعي فالضمير ليس نتاجا اجتماعيا فحسب تلعب فيه الذات دورا سلبياً لا يزيد عن القبول لما يمليه عليه المجتمع من أوامر ونواه . كما أنه ليس مجرد صوت داخلي يلعب فيه الفرد الدور الرئيسي بعيدا عن كل المؤثرات الخارجية . بل هو نتاج هذين العاملين في علاقتهما الدياكلتيكية . فهو اذ يتكون في اطار المجتمع ، انما يتأثر بالتربية والثقافة ، والطبقة الاجتماعية وطور نضجها والعادات و الاعراف ، وغير ذلك بالاضافة إلى أنه لا يتلقى هذه المؤثرات في سلبية تامة ، بل للفرد دور فعال في تعديل وصياغة ما يقدمه المجتمع صياغة جديدة بحيث تتلاءم مع نوازعه الداخلية ومكوناته الفردية .

فالضمير ليس مجرد محكمة داخل الفرد فحسب ، بل هو أيضاً محكمة المجتمع بمعنى آخر هو محكمة المجتمع داخل الفرد في أطار فهم هذا الفرد للمجتمع من خلال نوازعه الداخلية .

(٤) الحكم الاخلاقي

ماذا يعني القول بأن ضميرنا يخبرنا بأن فعلا ما خير أو صائب " . ما الذي تتضمنه هذه العبارة ؟

توجد أربعة مفاهيم تنطلق على أساسها أحكام الناس بأن هذا الفعل أو السلوك خير أو صائب . وأول هذه الفاهيم هو القيمة ، فحينما نصدر على فعل ما حكما بأنه خير أو صائب اخلاقيا ، فاننا نعنى انه ذو قيمة ، نتائجه . (٨٦)

ويستحق أن نفعله . وهذه القيمة قد تكون له في ذاته ، أو بسبب وثاني هذه المفاهيم هو " الالزام Obligatoriness ذلك أننا عندما نقوم بالحكم على السلوك من الناحية الاخلاقية ، فإن ما نعنيه هو أن على الشخص أن يؤدى أفعالا معينة كواجب ، وغالبا ما تكون الاحكام الاخلاقية وثيقة الصلة بقوة القانون ولهذا السبب رأى " " كانط " أن القانون الاخلاقي (ملزم) ، ورآه آخرون قانونا من قوانين الدولة . (٨٧)

أما المفهوم الثالث ، والذي يكون لدى الناس عند اصدار الحكم الاخلاقي ، فهو الملاءمة الاخلاقية Moral Fittingness ، فعندما نقول بأن فعلا ما صائب من الناحية الاخلاقية ، فإننا لا نعنى أنه كذلك من حيث القيمة والالزام ، بل نعني أيضا أنه ملائم لموقفنا الاخلاقي . فلكل ظرف فعل أخلاقي يتناسب معه . وتحديد ذلك يكون من وظائف العقل طبقا لكن حالة أو ظرف . (٨٨)

وأخيرا ، يجئ " الصدق الموضوعى Objective Validity ويتمثل ذلك في أنه عندما يقول انسان ما بأن هذا الفعل خير ، أو صائب اخلاقيا فإنه يسلم بأنه

يقول الصدق بعيدا عن حكمه الذاتي على الأمور – وقد يكون مخطئا أو مصيبا في حكمه – ولكنه يشعر في داخله أنه يرى هذا الحك سانبا . (٨٩)

والحكم الاخلاقي ، من حيث طبيعته ليس من نفس النوع الذي يمثله الحكم المنطقى Logical Judgment فهو ليس مجرد حكم عن Judgment About ؛ بل هو حكم على Judgment Upon ، وهو ليس مجرد حالة لموضوع ما ؛ بل هو مقارنة الموضوع بمعيار ما ، وبواسطة هذا المعيار يتقرر ما اذا كان الموضوع خيرا ، أم شرا ، وصائبا أم خاطئا وهذا ما نعنيه عندما نقول إن وجهة النظر الأخلاقية ، هيوجهة نظر معيارية (٩٠) . فيجب أن نميز بين أحكام الواقع Judgment of Pact – الاحكام الوصفية والوضعية – والتي تستخدم في العلوم الطبيعية . وبين احكام القيمة Value Judments الاحكام التقويمية والتقديرية – والتي تستخدم في العلوم المعيارية . فعندما نقول بأن الماء يتكون من أوكسجين Oygm وأيدروجين Hydrogen ، فإننا نصوغ حكما واقعيا ؛ بينما عندما نقول بأن – الصدق صائب دائما " فاننا نحكم حكما تقويميا . فأحكام الواقع أكثر موضوعية لاعتمادها على الطبيعة الواقعية للموضوعات المحكوم عليها ، بينما تكون أحكام القيمة مرتبطة بالذاتية لاعتمادها على الانسان وميوله ورغباته ، (٩١) .

وإذا كان هذا الرأي يؤكد على ان الاحكام الاخلاقية أحكام معيارية ، فإنه يوجد على الجانب الآخر من ينكر ذلك تماما ، فقد رأى " ليفى بريل ' (٩٢) . ان الاخلاق لا يمكن أن تكون علما ومعياريا في نفس الوقت ، لأن هذا معناه

ادماج حالتين لا يمكن أن يدمجا معا . كما قرر أصحاب النظرية المنطقية في الاخلاق ، ونظريات الحس الاخلاقى " ان الاخلاق ليست معيارية ، بل تقرر أو تصف خواص وسمات الموضوع الاخلاقي وتفحص ماهو كائن ، وليس ما يجب أن يكون . (٩٣)

وهكذا نجد أن هناك اتجاهين رئيسيين : اتجاه يجعل الحكم معياريا أي أن احكامنا تكون تقويمية تتخذ فيها موقفا تجاه الموضوع والثاني يكون تقريريا أو وصفيا نقرر فيه شيئا ما عن طبيعة الموضوع ، أو نصفه ، وهذا يجعلنا نتسائل :

ماهو موضوع الحكم الاخلاقي ؟ وما علاقة هذا الحكم بالذات ؟

وسوف نشير هنا الى ما يتضمنه هذان السؤالان ، اما الاجابة لكاملة فسوف تكون من خلال دراستنا لنظريات الحكم الاخلاقي .

موضوع الحكم الاخلاقي

ينصب الحكم الاخلاقي – كما يرى ماكينزى – على الفعل الارادي Voluntary Action ، أي أن الشئ الذي * لايراد k net Willed لا تكون له خاصية أخلاقية . على سبيل المثال ، قد تدمر كتلة صخرية مندفعة من أعلى جبل قرية في السفح – أو قد ينقذ وابل من المطر شعبا من المجاعة ، ولكن هذين الفعلين لا يمكن القول بأنهما فعلان أخلاقيان شرا أو خيرا ، لأن هذين الفعلين غير مرتبطين بالارادة الانسانية والفعل الانساني . وبنفس الطريقة نجد

أنفسنا لا نقوم أفعال " النمور " أو الخيول أخلاقيا ، لأننا نعتبر أن أفعالها مجرد أفعال غريزية لا تمتلك حرية الارادة ، ولكن عندما نطرى هذه الأفعال أو نستهجنها فإننا نفترض أنها ارادية بالتشبيه بالفعل الانساني . فالحكم الاخلاقي لا ينصب على جميع الافعال أو على السلوك جميع الموضوعات بل يكون منصبا : الانساني Human Conduct (٩٤) .

وبالاضافة الى ماسبق ، فاننا يجب الا نحد الفعل بالحركة الجسمية البسيطة للفاعل ، بل يجب أن نضع في اعتبارنا الدافع ane والقصيد Imemion والهدف والارادة ، لأنها جميعا تكون أقساما للعلل تنفصل عنه . والفعل قد يكون خيرا في ذاته ، أو خيرا وسيليا (اى بودى إلى نتائج خيرة) . (٩٥)

الذات ، والحكم الاخلاقي

هناك من يرى أن الانسان عندما يؤدي فعلا ما ، يكون سلري ارائها ، وهو الذ يرى أن هذا الفعل أفضل ما يمكن في هذه اللحظة – من وجهة نظره الذاتية – لذا فانه يقوم به ، ويسعى لأن يشاركه الآخرون في – القيام بنفس الفعل ، واستحسانه للفعل على أساس ذاتي – أي المول اليه لي الرغبة – فيه يؤكد ذاتية الحكم وينفى عنه كل موضوعية . (٩٦)

وهذا الرأى يرى أن الحكم الاخلاقي هو حكم ذات فى لحظة معينة ، وفي مكان معين وقد يكون تدخل الذات كبيرا ، أو بدرجة أقل . الا أن الحكم لا ينجو من تأثير الذات .

وعلى النقيض من ذلك الاتجاء هناك من يجد أن الحكم على الفعل الاخلاقي يكون متجردا من الميل نحوه أو الرغبة فيه ، بل هو حكم على خواص الموضوع الاخلاقي ، أو ملاحظة مثالية منزهة عن الغرض الذاتي ، أو وفق معيار بعيد عن ذواتنا ولذلك فهو حكم موضوعى يجب الذات بعيدا ، ويلغي تأثيرها .

وهكذا ، بينما يؤكد بعض المفكرين على دور الذات في الحكم الاخلاقي ، تجد هناك آخرين يحاولون تقليص دور الذات أو الفته محاولين جعل علم الاخلاق علما مضبوطا كالعلوم الطبيعية الرياضية . وقد تباينت الآراء وتعددت النظريات في هذا المجال .

(٥) نظريات الحكم الأخلاقي بين المعيارية والتقريرية

تنقسم النظريات الأخلاقية الى مجموعتين وغير معيارية (تقريرية) – سيتين ، معيارية وتنقسم النظريات المعيارية الى :

١- النظريات الذاتية .
٢- النظريات الموضوعية .

أما النظريات التقريرية (غير المعيارية) ، فيمكن أن تسير منها

١- النظريات المنطقية الاخلاقية .
٢- نظريات الحس الاخلاقي .
٣- النظريات الطبيعية والوضعية (الوصفية) .

أولا : النظريات المعيارية Normahe Theories

وهي النظريات التي يكون فيها للإنسان موقف محدد ولا يستطيع أن يتكلم فيه بحياد تام أو يقول ما يراه الآخرون غير الحقيقة (١٧) وهى النظريات التي تؤكد على المعيار ، وتتعامل مع الشئ كما يجب أن يكون " وليس كما هو كائن " . انها نظريات لا تصف ولا تقرر أو تحل طيمة الفعل أو السلوك الاخلاقي ، بل تقوم . وهذه النظريات أسا ذاتهة أو موضوعية .

١- النظريات الذاتية Subjective Theories

يعتبر مصطلح " الذاتية " من المصطلحات التي تحمل معاني كثيرة في مجال علم الاخلاق (٩٨) يتميز بعدم الوضوح ، ولكن يمكن القول بأن النظريات الذاتية هي تلك النظريات التي وفقا لها تكون الاحكة الاخلاقية Moral Judgments على البشر أو أفعالهم ، هي أحكام على الطريقة التي يؤثر بها الفعل أو الموضوع على الانسان ، والطريقة البر موضوع الحكم . ويتبع ذلك أن السمات الاخلاقية لا تكون موجودة شعر بها أو يفكر بها الناس تجاه هذا الانسان أو ذالك أو هذا الفعل و دل بواسطة الاعمال أو الفاعلين في غياب الناس الذين يتم الحكم عليهم أو الذين يثارون بمثل هذه الانفعالات ، كالاعجاب أو الحب أو التجاوب ، أو الكره أو عدم التجاوب ..... (٩٩) .

ويستخدم المصطلح (ذاتية) لكي يشير إما الى أن الحكم بصواب فعل يعتمد على الحالة العقلية لشخص معين ، وان هذه الحالة ، نظرا لتغيرها بين

لحظة وأخرى ، فإن الفعل قد يكون صائبا في وقت معين . ثم يصير خاطئا في وقت آخر كما أن الحكم يختلف من فرد الى آخر . (١٠٠)

ويمكن تصنيف النظريات الذاتية تبعا لما اذا كانت الأحكام الأخلاقية تتم وفقا لمشاعر الفرد ، أو وفقا لتفكيره واعتقاده ، وما اذا كانت تنبع من اعتقادات مجموعة من الناس ومن مشاعرهم ، أو اذا كانت تدور حول مشاعر ومعتقدات أغلب الناس .

وسوف نشير بشئ من التفصيل الى كل اتجاه على حدة فيما يلى :

أ- الأحكام الاخلاقية تقرر ما يشعر به الفرد (١٠١)

ويكون الحكم وفقا لهذا الاتجاه مؤسسا على انني عندما أحكم بأن هذا الانسان خير ، وان هذا الفعل صائب ، فان الحكم يكون وفقا لشعوري أنا شخصيا تجاه هذا الفرد ، أو تجاه ذاك الفعل .

وفي هذا الاتجاه يكون التأكيد على بعض التعبيرات ، والكلمات . مثل أنا * ١ والآن " Now " وهنا " Here " والتي تشير الى " الذات . و الزمان " و " المكان " على الترتيب وينتج عن ذلك أن حكما أخلاقيا يقوم به شخص معين قد لا يتوافق مع حكم أخلاقي آخر يقوم به شخص أخر على نفس " الفعل " أو نفس الانسان موضوع الحكم . كما أنه يعني أن حكم هذا الشخص على شئ ما بأنه " خطا " لا يعني الحكم الدائم والأبدي بالنسبة لهذا الشخص ،

بل هو حكمه " الآن " والذي يمكن ان يتغير بتغير الزمان ، كما انه يمكن أن يتغير الحكم بالنسبة للشخص الواحد اذا تغير المكان . (١٠٢)

وقد رأى " جورج ادوارد مور George Edword Moore ان نفس الفعل يمكن أن يكون صحيحا أو خاطئا ، ويمكن أن يتحول من حكم بالصواب الى حكم بالخطأ .

فإن قتل إنسان ما قد يقال إنه فعل صائب إذا استحسنه من يصدر الحكم ، وقد يكون فعلا خاطئا اذا لم يستحسنه شخص آخر يصدر الحكم على نفس الفعل . ولكي يظهر " مور " كيفية تحول حكم ما من الصواب لى الخطأ . فقد رأى " مور " أنه اذا قال " جونز " (في الوقت الذي يستحسن فيه فعل بروتس) بأن هذا الفعل صائب فانه وفقا للنظرية الذاتية يكون " بروتس " على صواب . فاذا جاء وقت لم يستحسن فيه " جونز " فعل " بروتس " حينئذ فانه يقول بان بروتس " مخطئ ووفقا للنظرية الذاتية فإنه لا يكون على صواب ، بل يكون خاطئا ، ومعنى ذلك أن الفعل قد تحول من الصواب الى الخطأ نظرا لتحول " جونز " من حكم الى حكم مضاد بتأثير اللحظة التي يحكم فيها على الفعل . (١٠٣)

لقد انتقد هذا الرأى (١٠٤) وذلك لأنه بالرغم من استطاعة أي شخص أن يرى أن فعلا ما صائباً بينما يراه آخر خاطئا ، نتيجة لاستحسانة أو عدم استحسانه للفعل . فان الفعل نفسه لا يكون خاطئا ، وصائبا في نفس الوقت ، وكذلك الحكم الذي أصدره شخص ما ، ثم عاد الى نقضه في وقت آخر

صار حكما على حالة مختلفة لأن الشخص في ادراكه لموضوع الحكم في الحالة الأولى لم يعد هو نفسه الشخص في الحالة الثانية ، وبالمثل فإن الموضوع – من وجهة نظره قد تبدل – ولكن الحكم لنفس الشخص في نفس المكان والزمان يكون حكما واحدا ، لأنه يخبرنا باستحسان أو عدم استحسان شخص معين لفعل معين في لحظة محددة ومكان محدد .

وأبسط صورة لهذا الاتجاء هي تلك الصورة التي تقول فيها بان فعلا ما يكون سالها طالما التي أحبه أو أميل اليه ، ويكون " خاطئا " ان كنت لا أميل إليه أو أبغضه ، وحقيقة أن هذه النظرية تحاول أن تحدد الأفكار الاخلاقية في ضوء المول أو التوافق مع الموضوع بالمعنى السيكولوجي . (١٠٥)

وقد رفض " اير " Ayer هذا الرأي لأنه يرى أن نقول بأن فعلا ما (خيرا) أو (مائياً) على أساس أنه موضوع استحسان لا يجعلنا نقع في تناقض لو النا استحسنا ماهو " سيء أو خاطئ . (١٠٦) .

(ب) الحكم الاخلاقي يقرر اعتقادات وأفكار من يصدر الحكم (١٠٧)

اذا كنا قد رأينا أن شخصا ما يحكم على فعل أو انسان ما بانه صائب او خاطئ اذا شعر تجاه الفعل أو الشخص بمشاعر معينة ، فانه من الممكن أيضا أن تعتقد بأن الشخص عندما يصدر حكما ، فانه يقرر أن الموضوع قد أثار فيه معتقدات أو أفكار معينة ، فاذا أكد انسان ما بان فعلا ما على خطأ ، فان هذا يعني ان فكرة الفعل Thought of The Action قد أثارت فيه شخصيا الاعتقاد بأنه خاطئ The Belief That It Wrong وه الفكرة دائرية Circular

بسبب أنه رغم تقديمها تعريفا للخطأ (لأنها ترى أن " من " خطأ تعنى تماما أنني أعتقد أن س خطا – قارن الحصان البارع هو " الحصان المولود لأبوين بارعين ....) فإنه يبدو مـ ـن المستحيل التخلص من الدائرية ، فقد تتساءل هل الموضوع خاطئ لأننى اعتقد له خطأ ، أم التي اعتقد أنه خاطئ لأنه قد شاع بالنسبة لي أنه خطأ ؟

وقد رأى البعض أن خاصية وجود الصواب تعتمد على خاصية د الاعتقاد ، وبالتالي لايكون الفعل صائبا إلا إذا اعتقد شخص ما فى صوابه ، والعكس صحيح ولكن هناك من حاول أن يرد على هذا بـالقول بأن كلمة " صواب " تحمل معنيين أحدهما موضوعي ، والآخر ذاتي فى نفس الوقت ، ويرى أن فعلا ما يكون صائبا بالمعنى الذاتي اذا اعتقد فله صواب بالمعنى الموضوعي ، وان هذا يزيل التناقض ويجعل خاصية الصواب تعتمد على وجود الاعتقاد في الصواب فالصواب من وجهة النظر هذه يكون موجودا موضوعيا ، ولكن الاعتقاد في أنه صواب هو الذي يحوله الى الذاتية .

وبشكل عام فإن الحكم الاخلاقي الذي يعتمد على ما يثيره الموضوع لدى الشخص الذي يصدر الحكم بالنسبة لاعتقاد بأنه خطا أو صواب أو خير أو الخ انما يؤدي الى ان الاحكام تكون متباينة ايضا بالنسبة للحظة ، والشخص ، لأن الشخص قد يغير أفكاره من وقت لآخر ، كما أن حكم شخص يتباين مع حكم شخص آخر نظرا لتباين ما يثيره في الشخص الأول بالنسبة لاعتقاد الصواب والخطا عما يثيره في الشخص الآخر بالنسبة لنفس الشئ .

ويثير هذان الاتجاهان (الاتجاه الذي يتصل بمشاعر الفرد – والاتجاه الذي يتصل بأفكاره أو معتقداته) بعض التساؤلات :

١– ان حكم شخص يختلف عن حكم شخص آخر ، ولا يمكن الوصول الى تعميم في الحكم ، وانه اذا قال شخص ما بأن هذا " فعل مصائب – ثم قال آخر عنه أنه " فعل خاطئ " فان العبارتين تكونان مصادقتين بالنسبة لكل منهما على حدة ولا تحملان اى تناقض . (١٠٨)

٢– عدم امكانية الوصول الى حكم موحد ، بل سوف ينتج عن ذلك وجود احكام تكاد تصل إلى عدد الاشخاص .

٣– ان تفضيل فعل على فعل آخر ، قد يكون حكما خاطئا نظرا لحالة الشخص السيكولوجية أو نتيجة لتدخل أمور خارجة عن مجال الحكم الأخلاقي في حكمه ، كان يرى أفعال شخص ما صائبة " نتيجة لصلة له بهذا الشخص ، أو ارتباطه معه بمصالح أو افكار معينة ، ويرى غير ذلك فيمن هم لا صلة لهم به او يقفون منه موقفا مضادا ، بغض النظ عن القيمة الموضوعية لما يحكم عليها من أفعال .

٤ – تباين الحكم بتباين الاشخاص والزمان والمكان يفتح الابواب أمام فوضى الحكم .

وأمام مثل هذه الانتقادات وغيرها ، رأى أصحاب هذه النظرية أنه يمكن تلاشى بعض عيوب هذه النظرية عن طريق توسيع مجال الحكم بأن يكون هو ما تحكم به جماعة معينة أو اغلب الناس .

(ج) الاحكام الاخلاقية تقرر ما تشعر به جماعة معينة (١٠٩)

ما يوضع في الاعتبار هنا ، ليس هو المشاعر التي يشعر بها فرد ما تجاه موضوع الحكم ، أو ما يثيره هذا الموضوع من أفكار ومعتقدات تجعله يحكم عليه بالصواب أو الخطأ بل هو ما تشعر به ، وتعتقد فيه جماعة معينة تجاه موضوع الحكم ، وهذه الجماعة قد تضيق ، أو تتسع . فقد تكون جماعة من الناس يقطنون مكانا معينا أو دولة معينة كالانجليز Englishmen أو المصريين Egyptian أو جماعتي ، أو الجماعة التي انتمي اليها .. وان كان القول بأن النظرية تنصب على الحكم الصادر عن مجموعة " المتكلم الخاصة " يفتح الباب لاعتراضات عديدة .

وفي هذه النظرية فإن شخصا ما لو قال " بان فعلا ما يعتبر خاطنا ما راه شخص آخر صائبا " وكانا ينتميان الى جماعة واحدة فإن هذا يعتبر وقوعا في التناقض ، لأن النظرية تفترض أن الجماعة الواحدة تشلق على حكم واحد ، بمعنى أنها تستحسن أو تستهجن افعالا أو امور اسعينة ، تعتقد بأن أمورا ما على صواب ، أو ان أمورا أخرى على الخطأ ورأي الجماعة موحد في هذا الشأن .

واذا قال شخص ما بأن فعلا ما على " صواب " ثم عاد بعد فترة ما وقال انه فعل " خاطئ " وكان هذا الموقف قد تغير مع تغير موقف الجماعة ، فإن هذا يعني أن الشخص ليس في حاجة الى سحب تأكيده الأول ما دامت أراؤه متفقة مع ماتراه الجماعة ولا يوجد تبعا لذلك تناقض لدى الشخص الذي أدلى بالحكم . وقد ينتج من ذلك أن استحسان جماعة ما " لفعل ما " وحكمها عليه بالصواب يكون نتيجة للجهل ، وهذا يودي لى أن الافراد يقعون في نفس المشكلة .

كما أن سيادة مفاهيم معينة في الجماعة قد تؤدى الى اعاقة دخول مذهيم جديدة تكون أكثر فعالية وتطورا .

(٤) الاحكام الاخلاقية تقرر ما يشعر به اغلب الناس (١١٠)

واذا كان الاتجاه السابق يؤدي الى اعتراضات تتصل بمفهوم ة ومدى ، اتساعه أو ضيقه ، فان هذا الاتجاه (الذي نحن بصدده الجماعة و الآن) يمكن أن يوسع الدائرة ويرى ان الفعل يكون صائبا اذا لقى استحسانا من اغلب الناس .

وينتج عن ذلك أن الاتفاق يكون هو الغالب بين جميع الناس علىزز الموضوعات التي تلقى استحسانا ، أو التي تلقى استهجانا ، فاذا اعتبر شخص ما ، فعلا ما صانبا بينما راه آخر على انه " فعل خاطئ " او ادائه ، فان هذا لا ينجو من التعارض .

ولكن قد يتغير حكم الناس على شئ بأنه صائب الى حكم عليه بانه خاطئ في وقت آخر ، ويكون نتيجة لذلك أن حكم انسان ما على فعل بالصواب ، ثم

حكمه عليه فيما بعد بأنه خاطئ لا يحمل تناقضا ، ولا يجبره على انكار حكمه الأول طالما هذا يتسق مع حكم الأغلبية .

والنظرية تتضمن ان فعلا ما يكون خاطئا اذا لقي استهجانا من اغلب الناس ، وذلك بقطع النظر عن الجهل بطبيعة الفعل . ولكن هذا الجهل قد يؤدي إلى مغالطات من وجهة النظر الموضوعية . بيد أن النظرية الذاتية هنا لا ترى ضررا في ذلك لأنها لا تضع اهتماما كبيرا ضمن اعتباراتها لموضوعية الحكم .

والجدير بالذكر أن النظريات الذاتية جميعها في حاجة الى تنقيح وذلك لتجنب احتمال أن تكون مواقف الناس الذين ندعي أننا نصفها عندما نقوم بالحكم الاخلاقي لم تؤسس على خطأ وجهل بينين ، ويمكن بناء على ذلك أن نقول بأن فعلا ما يكون صائبا اذا تم استحسانه بواسطة شخص من نوع خاص جدا Aperson Of Very Special Kind أي شخص الذي لا يكون جاهلا ، أو خطاء بالنسبة للموضوع المحكوم عليه – وقد يؤدي هذا الي أن تضع في اعتبارنا " نظريات الملاحظ المثالي ital Observer Theories والتي عولجت بشكل أفضل كنوع من الموضوعية الاخلاقية (١١١) .

وهكذا تتعرض النظريات الذاتية الى انتقادات عديدة ، فهي

١- ان تجعل المعيار متصلا بالذات التي تصدر الحكم ، فإنها بذلك تؤدي – كما اسلفنا الى فوضى في الأحكام ، ووصولها الى – عدد لا حصر له من الآراء .

٢ – هذه الأحكام لا تضع في اعتبارها خواص موضوع العلم ، وبا الوصول إلى تعميمات في هذه الأحكام ، او الى تسوع من ون قسم ابل في أحكام متغيره تبعا للشخص ، والحالة ، والمكان .

٣ – لدى الجهل امة موضوع الكم ، او خطأ الأتراك في الحلم رسلهم ، ولكن هذا من الصعب تجلبه في القريات التالية وان المداولة لتقيع الاتجاء الذاتي – من طريق (نظرية الملاحظ المثالي) يؤدي إلى الطريق المباين للطريق الذاتي – وهو الموضوعي .

٤– بالنسبة للجماعة وجعلها مصدر الحكم ، فإننا نجد أن عدم العديد نوعها فقد تكون هذه الجماعة (دولة أو قرية أو جماعة خاصة جدا .) مما يؤدى الى تذبذب في معيار الحكم ، وعدم امكانية تعميمه ، كما ل هذه الجماعات قد تقف حجر عثرة أمام أي تطور إلى الأفضل نتيجة نهم استحصالها للفعل ما ، أو ارتباطه لديها بمعتقدات أو مواريث معينة . ويمكن توضيح ذلك عن طريق الدراسات الانثربولوجية للجماعات البدائية – علي سبيل المثال .

ويمكن أن توجه الانتقادات العديدة للنظريات الذاتية ، والتي يقف ورتها وضع الذات معيارا ولكن هل يمكن تلاشى هذه الانتقادات ؟ هذا مالا تحاوله الدراسة بعرض النظريات الأخرى في هذا المجال .

(٢) النظريات الموضوعية

قد تبدو كلمة " موضوعى " Objective * مثل كلمة ذاتي " Subjectne ميذ كل البعد عن الوضوح .ولكننا سوف نقول بأن النظرية الاخلاقة كون موضوعية اذا رأت أن الحقيقة التي تؤكد بواسطة بعض التعبيرات مرسته من الشخص الذي يقوم بالتعبير عنها ، وكذلك عن زمن التعبير .

تعقيب

بعد دراستنا للنظريات التقريرية (المنطقية ، ونظريات الحس الأخلاقي ، والنظريات الطبيعية والوصفية) والتي تتفق جميعا في فكرة أساسية مفادها أن الأحكام الأخلاقية احكام واقعية سواء كانت تتخذ صورة منطقية يؤدي انكارها الى الوقوع في التناقض الذاتي او كونها احكاما امبريقية أو وصفية ، قد وجدنا أن هذه النظريات في تفاصيلها لا تمتلك السند القوي الذي يؤكد هذه الآراء ، ذلك ان احكام المنطق ، أو العلوم الطبيعية احكام سيان كثيرا عن الأراء الأخلاقية ، وهذا يأتي من كون الانسان يدخل طرفا في هذه الاحكام ؛ فالتعامل لا يكون مع وقائع تجريبية لها درجة عالية من الثبات المشروط بل مع أفعال أو سلوك في حالة تغير وتتداخل معها مجموعة كبيرة من العوامل أهمها ان الفعل الاخلاقي هر فعل انساني ، بكل ما يحمله الانسان من تعقيد وصعوبة على التحليل مضافا الى ذلك البيئة والمجتمع ، والمرحلة التاريخية ، والتربية ، وجوائب أخرى سيكولوجية ، أو وراثية ... الخ .

ولهذا فان نبذ " المعيار " من وجهة نظرنا – لا يمكن ان يكـور متسقا مع جعل علم الاخلاق هو علم السلوك الانساني ، أو العادات الانسانية ، أو أيا كانت تسميته متعلقا بالانسان . ذلك ان الانسان هو الكائز الذي يعرف أن له ماضياً ، ومستقبلاً ولذا فهو يفكر بالاضافة الى حاضره ، فيما كان ، وما سوف يكون . وهذا يجعله يفكر أيضا فيما يجب أن يكون What Ought To Be وبالتالي وضع معايير للسلوك وهذا يتناقض مع جعل علم الاخلاق مجرد دراسة تقريرية

تقرر حقائق لا صلة لها بما عداها ما – في العلوم الطبيعية حيث لا تتدخل الذات الانسانية في القوانين ، والاحكام فالماء من الأكسجين و " ايدروجين سواء كان القائم بتحليله هرما على انسان ما أوفعل ما بالخيرية أو عدمها أو بالاصابة أو الخطا شابا ، مصريا أو هنديا في القرن الماضي أو القرن الحالي ، ولكن الحكم الاخلاقيين ، يختلف بالصورة باختلاف المجمعات أو المعتد وغيرها ، وذلك لأن الانسان يعتبر طرفا في موضوع الحكم .

العدمية الأخلاقية Ethical Nihilism

ترى العدمية الاخلاقية أنه لا وجود لصواب اخلاقى أو خطا اخلاقي . واذا كان هذا الموقف صحيحا ، فانه لعدم وجود افعال سواء كانت صائبة أو خاطئة ، من الناحية الاخلاقية فيتبع ذلك ان لاشئ مما تفعله يعتبر اخلاقيا ، ولا شئ ايضا يعتبر لا خلاقيا ولا شئ ملزم أو غير ملزم . وكذلك لا وجود لمعيار اخلاقي صحيح (١٤٦) . ويعتمد هذا الاتجاه على فكرتين :

الأولى : تباين المعايير

الثانية : العجز عن تبرير أواثبات المعايير الاخلاقية

أولا : الرأى المستند على تباين المعايير

يزعم البعض أنه من الخطأ استنتاج النسبية الاخلاقية من تبـاين الاعتقادات مع اعتبار ان المعايير الاخلاقية صحيحة ، لأن هذا التباين من الاتساع والى حد يمكن القول معه – في رأيهم – بأنه لا يمكن الوصول الى معيار صحيح .

ويمكن صياغة هذا الرأى كالأتى :

المعايير الأخلاقية التي يعتقد الناس في صحتها تختلف باختلاف المكان والزمان ولذلك فانه لا وجودلمعايير اخلاقية صحيحة .

ولكن يمكن انتقاد هذا الرأي ، فهذه الجمل تبدو زائفة فعلى سبيل المثال توجد اعتقادات متباينة حول الحياة على النجوم ، ولكن هذه الاعتقادات باطلة ، فبعض الاعتقادات مالية والبعض الآخر غير صائب . ولذا فاننا نرفض الرأي القائل بان تبان المعايير يبرر وجود العدمية الاخلاقية . (١٤٧)

ثانيا : الرأى المستند على العجز عن التبرير ، أو الاثبات

بسبب أنه لا وجود لمعايير اخلاقية مبررة ، فان كل المعاير لا تبرير لها ولذلك فلا وجود لمعيار صحيح . ويمكن صياغة هذا الرأي كالاتى :

لا وجود لمعايير اخلاقية مبررة ، ولذا فان جميع المعايير غير صحيحة وبالتالي فان العدمية الأخلاقية تكون ممكنة عقلياً .

ولكن من الزائف ان يقال انه اذا لم نكن الآن نستطيع تبرير بعض المزاعم ، فان كل ما يشبه هذه المزاعم لا يكون صحيحا . ذلك انه " يوجد من يزعم بأنه توجد حياة على النجوم البعيدة يمكن الآن تبريرها أو اثباتها ، ذلك أنه ليس هناك برهان كاف على مثل هذا الزعم . ولكن هذا لا يتضس أنه من المستحيل في يوم ما تبرير أو اثبات أحد المزاعم ، وهكذا في هذا المثال ، كما في الاخلاق ، اذا كان هناك موقف لم يـبرر بعد فليس لدينا حاجة لأن نقول بأنه لا

وجود لموقف يمكن تـبريره بـالمرة . وهكذا فاننا نرفض الرأي الذي يرى أن عدم وجود معايير اخلاقية مبررة يعنى عدم وجود معايير صحيحة بالمرة ، أي ان هذا الرأي ليس صحيحا ، وبالتالي فان العدمية الأخلاقية تعتبر زائفة . (١٤٨)

وهكذا نجد أن الموقف العدمي ، والذي يرى أنه لا وجود لصواب أخلاقي أو خطأ اخلاقي ، وبالتالي فانه لا وجود لما هو اخلاقي أو غير اخلاقى ، او ملزم او غير ملزم قد صار – اي هذا الموقف العدمي رائها ، وبالتالي فاننا سوف تنحي هذا الاتجاه جانباً .

خاتمة

بعد دراستنا للقيمة الأخلاقية وأحكامها نخلص إلي أن القيمة الأخلاقية تلتقي في دراستها الممارسة العلمية مع النظر ، إذ تدرس القيمة الأخلاقية إلي جانب المبادئ الأخلاقية ، والسلوك المترتب على هذه المبادئ ، كما ان هذا يتأثر بدوره بالبيئة والمجتمع ، والأخلاق ليست مجرد نظر صرف يصف ما هو كائن ، بل تؤكد على ما يجب أن يكون ، وبالتالي فإن الأخلاق معيارية وليست وصفية ، وأحكامها تتفاعل فيها الذات مع الموضوع في إطار من تأثير الثقافة ، والمجتمع ، والبيئة ، والمعتقدات .. إلخ .

فهي تحمل جانباً موضوعياً تضمه هذه العوامل ، والفعل الأخلاقي ذاته وماله من تاريخ وفي أذهان الناس ، وجانباً ذاتياً ينجم عن ضرورة اقتناع الفرد بأهمية ما يقوم به ، أو رضاه عنه .

هوامش الفصل الثالث

(١) صليبا ، جميل : المعجم الفلسفي – ها دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ٤٩.

(٢) بدوى ، عبدالرحمن : الأخلاق النظرية – وكالة المطبوسات – ط ٢ – الكويت – مايو ١٩٧٦ – ص. ص ٧، ٨.

(3)المصدر السابق – ص ٧.

(4) Mackenzie. Johns A Manual Of Ethics University Tutorial Press

London, 1962 p.1 (5) Lillie, W: An Introduction to Ethics, University Paperbacke, 3rd ed. London, 1967, p.102

(٦) هوسيرس ، ج : السلوك الانساني – مقدمة في مشكلات علم الاخلاق – ترجمة

وتقديم وتعليق على عبدالمعطى – دار المعرفة الجامعية – الاسكندرية ١٩٨٤ – ص

ص ٣٩، ٤٠.

(7)المصدر السابق – ص ٤١ ، ٤٢.

(٨) نفس المصدر – ص ٤٢.

(٩) بريل ، ليفي : الأخلاق وعلم العادات الأخلاقية ، ترجمة محمود قاسم مراجعة

السيد محمد بدوى – وزارة المعارف العمومية – ادارة الترجمة – ١٩٥٣ – من ٦٠.

(10) Durkheim - Emil : Sociology and Philosophy .. tr by D. F. Pocaock. Cohen

& West. London, 1953, pp. 54& 55

(11) Ibid pp 35 & 40. (12) Mannheim, Karl: A Sociology of Knowledge - Routledge & Kegan Paul London 1952, p.5 also: Stark, Werner: The Sociology of Knowledge

-Kegan Pual - London - 1960-p. 126 (13) Lillie. W op. cit., p. 24

(14) Bradley. FH A Principles Of Logic-vol. I, p. 296- Queted in. Ibid P 24

(15) Hartmann, Nicolai Ethics. Translated by Stanton Coit. Vol I London

1952-pp. 56 & 57.

(16) Machanzie. J.S.: op. cit-p.5.

(17) 1 bid: p. 6 (18) I bid: p. 6.

(١٩) بذوي ، عبدالرحمن : الأخلاق النظرية – مصدر سابق – ص ١٢.

وذلك لأنها جميعا ، في رأي ليفي بريل " ، تضع معياراً محددا ، بالتالي فقد راها، جميعا معيارية .

(٢٠) المصدر السابق – من ١٣ ، ومن الجدير بالذكر أن "الميل دور كلهم قد انتقد بشدة الاخلاق النظرية أو ما أسماء الخلاق الفلسفة خاصة عند " كانط " في محلولة لتأسيس علم اخلاق وضعي ، راجع:

Durkheim E Sociology and Philosophy-op. cit. pp. 35-42

(21) Moore GE Principia Ethica. Cambridge University Press, London. 1903 . p.4 also Lillie w op cit p. 224

(22) Lillie. W op cit p. 228

(23) 1 bid p 228

(24) Comman James W. & Lehrer, Keith Philosophical Problem, and Arguments An Introduction - Macimllan Publising Co. Inc Second Edition, New York, 1974, p. 424

(٢٥) ابراهيم ، زكريا : المشكلة الخلقية – مكتبة مصر – ط – القاهرة ١٩٨٠ ص ص ٤٨,٤٧